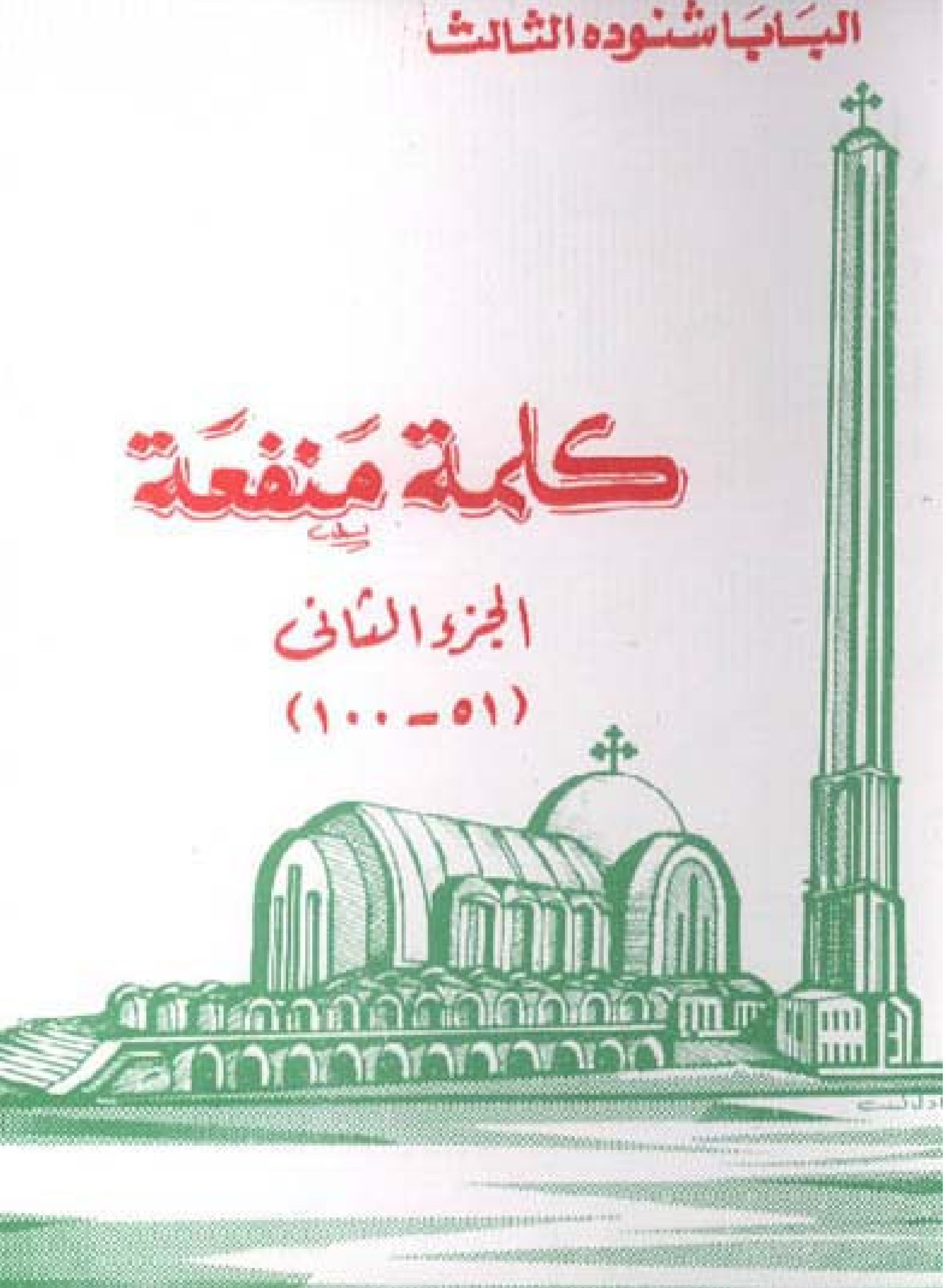
htm



كتب قداسة البابا شنودة الثالث


البابا شنوده الثالث
كلمة منفعة
الجزء الثاني
(٥١ - ١٠٠)

قداسة البابا شنوده الثالث

١٠٠ كلمة منفعة

الجزء الثانى (من ٥١ إلى ١٠٠)

Words Of Spiritual Benefit
Vol. II from 51 - 100
By
H.H. POPE SHENOUDA III

الطبعة الأولى
سبتمبر ١٩٨٠

First Print
Sep. 1980

باسم الآب والإبن والروح القدس
الإله الواحد آمين

تصـــدير

قصدنا أن نقدم لك ١٠٠ كلمة منفعة على جزءين ،
حسبما يحمل إسم هذا الكتاب ...

ولكن يبدو أن الحديث بيننا سيطول .
فهناك جزء ثالث له طابع خاص ...

سيصدر أيضاً تحت عنوان [كلمة منفعـــة] ،
إنتظره كحلقة من هذه المجموعة .

وكل ما نريده من نشر هذه الحلقات ، أن يكون لنا جميعاً فكر واحد .

وأن يكون هذا الفكر ، هو فكر المسيح (١ كو ٢ : ١٦) .

شنوده الثالث

١١ سبتمبر ١٩٨٠ (أول توت)
بدء السنة القبطية

محتويات الكتاب

صفحة

٥١ـ فى البرية والهدوء ٧
٥٢ـ الحزبيــة ٩
٥٣ـ الإنقســام ١١
٥٤ـ الذى يحب أن ينتفع ١٣
٥٥ـ العمل الجــاد ١٥
٥٦ـ أنا وحــدى ١٧
٥٧ـ الأحــلام ١٩
٥٨ـ الفكر الخاص ٢١
٥٩ـ الهــدوء ٢٣
٦٠ـ الوسيلة الطيبة ٢٥
٦١ـ الفضائل الأمهات ٢٧
٦٢ـ محبــة الإنتفــاع ٢٩
٦٣ـ الصــليب ٣١
٦٤ـ الإيمــان ٣٣
٦٥ـ الصــلاة ٣٥

٦٦ـ حيـاة البـذل ٣٧
٦٧ـ التكامل فى الفضيلة ٣٩
٦٨ـ أعياد القديسين ٤١
٦٩ـ العمل مع الله ٤٣
٧٠ـ راجع طريقك ٤٥
٧١ـ الإستفادة من الأخطاء ٤٧
٧٢ـ النمـو ٤٩
٧٣ـ التفكـير المتأخر ٥١
٧٤ـ فى نهاية العام ٥٣
٧٥ـ الأمين فى القليل ٥٥
٧٦ـ الحقيقة كلها ٥٧
٧٧ـ كيف تعترف ٥٩
٧٨ـ تأملات فى الغطاس ٦١
٧٩ـ العنف أم الحزم ٦٣
٨٠ـ مسـتويان ٦٥
٨١ـ القليل والكثير ٦٧
٨٢ـ المنفعـة ٦٩
٨٣ـ الشـكليات ٧١
٨٤ـ التجـارب ٧٣
٨٥ـ كل شيء لروحياتك ٧٥

٨٦ـ التوبة وكمالها ٧٧
٨٧ـ محبة الله لنا (أ) ٧٩
٨٨ـ محبة الله لنا (ب) ٨١
٨٩ـ المحبة تبذل ٨٣
٩٠ـ حلول الرب ٨٥
٩١ـ ربنـــا موجـــود ٨٧
٩٢ـ رؤية أخرى ٨٩
٩٣ـ الإخـــلاص ٩١
٩٤ـ سلام الكنيسة ٩٣
٩٥ـ إعثار الآخرين ٩٥
٩٦ـ مجـــد الألـــم ٩٧
٩٧ـ الصعـــود ٩٩
٩٨ـ صوم الرسل ١٠١
٩٩ـ كلمـــة منفعـــة ١٠٣
١٠٠ـ محبـــة الذات ١٠٥

[٥١] فى البرية والهدوء

وسط زحمة الحياة ومشاغلها وضوضائها واهتماماتها الكثيرة ما أجمل أن يتفرغ الإنسان ـ ولو قليلاً ـ للجلوس مع الله ، فى جو التأمل ، والصلاة ، وانفتاح القلب على الله ...

هنا يلجأ الإنسان إلى السكون والهدوء ...
لأن الحديث مع الله ، يليق به الإنفراد بالله ...

من أجل هذا نقل الله أبانا ابراهيم من وطنه ، ومن بين أهله وعشيرته ، إلى الجبل ، إلى حيث ينفرد فى خلوة مع الله ... هناك يبنى المذبح ...

وفى خلوة على الجبل المقدس ، قضى موسى أربعين يوماً مع الله ، أخذ منه الناموس والوصايا ، وأخذ المثال الذى على نسقه بنى خيمة الإجتماع .

وفى خلوة على الجبل ، كان السيد المسيح يلتقى بتلاميذه ، وأحياناً كان يأخذهم إلى موضع خلاء ...

كلمة الله ، يليق بها السكون والهدوء ...
وعلى جبل الكرمل ، فى الهدوء ، تدرب إيليا النبى .
وفى البرية ، مدى ثلاثين عاماً ، تربى يوحنا المعمدان .
وفى الهدوء والسكون أيضاً ، تدرب أعضاء مدرسة الأنبياء .

ولم يصر موسى نبياً ، ولم يختره الرب للقيادة ، إلا بعد أن قضى فى البرية أربعين سنة ، فى السكون ، بعيداً عن قصر فرعون وضوضائه وسياساته ...

والسيد المسيح نفسه ، على الرغم من السكون غير المحدود الكائن فى أعماقه ، وعلى الرغم من صلته الأزلية الدائمة بالآب ، لكى يعطينا مثالاً ، لم يبدأ خدمته العلنية إلا بعد أربعين يوماً قضاها وحده فى الجبل ، فى حياة السكون ، مع الآب ...

وكان الجبل ، له موقعه وموضعه ، فى حياة الرب . وما أجمل قول الكتاب فى ذلك « مضى كل واحد إلى بيته . أما يسوع فمضى إلى جبل الزيتون » (يو٨ : ١) .

وكان بستان جسيمانى مكان هدوء وسكون للمسيح . يقضى فيه فترات من الخلوة ، ما أعمقها .

وكانت مريم أخت مرثا مثالاً لحياة السكون ، فى جلستها الهادئة عند قدمى الرب . أما أختها المنشغلة المضطربة بعيدة عن حياة السكون ، فقد وبخها الرب بقوله « أنت تهتمين وتضطربين لأجل أمور كثيرة ، والحاجة إلى واحد » ...

ليتك إذن تبحث عن مركز السكون فى حياتك ؟

وهل أنت تهتم وتضطرب لأجل أمور كثيرة ...

ومتى تهدأ إلى نفسك ... ؟ متى ؟

[٥٢] الحزبيـــة

قد تكون إبناً لله ، وخادماً فى الكنيسة ، ومواظباً على أعمال روحية ، ومع ذلك فأنت واقع تحت وطأة الحزبية ، وخاضع لمشاعرها ... !

والحزبية هى أن تهاجم البعض ، بلا معرفة ، وبلا تفكير ، وربما بلا أسباب ... ! بينما تؤيد البعض وتدافع عنهم ، بنفس الأسلوب ، بلا معرفة ، بلا تفكير ، بلا أسباب ... !

الحزبية فيها بولس وأبولس ، الأمر الذى انتقده الرسول ، ووبخ عليه أهل كورنثوس (١ كو٣ : ٣ ، ٤) «لأنه متى قال واحد أنا لبولس ، وآخر أنا لأبولس ، ألستم جسديين وتسلكون بحسب البشر» ...

الحزبية لا تتفق مع روح المحبة ...

لأن الشخص الذى تنتقده وتهاجمه وتقف ضده ، قطعاً لا تحبه ... و «المحبة لا تقبح ، ولا تظن السوء» (١ كو١٣) .

والحزبية لا تتفق مع الحق والعدل ...

إذ غالباً ما تكون المهاجمة فى نطاق الحزبية ، ليست كلها صدقاً ولا عدلاً ... على الأقل فيها لون من المبالغة ، أو لون من التجنى . مبعثه حقد داخل القلب ...

والحزبية لا تبنى ، بل تهدم ...

إنها تفتت القوى ، وتفرق الشمل ، وتسخدم كل الطاقات فى غير مجالها الطبيعى ... تضيعها فى المشاحنات والانقسام، وفى النقد والنقض .

الحزبية ضد وحدة الروح ووحدة الفكر ...

وهى تجسيم للذات ، أو للروح القبلية ... ولا تتفق مع حياة الكنيسة المقدسة التى قيل عن أبنائها « كان الجميع معاً بنفس واحدة » (أع ٤ : ٣٢) .

وهى ضد وصية الرسل فى قوله « مسرعين إلى حفظ وحدانية الروح برباط الصلح الكامل ... لكى تكونوا جسداً واحداً وروحاً واحداً ، كما دعيتم إلى رجاء دعوتكم الواحد ، رب واحد ، إله واحد ، معمودية واحدة » (أف ٤) .

والحزبية قد تأخذ روح التنافس أو المعارضة بالنسبة إلى الآخرين ، وروح الإفتخار بالنسبة إلى الذات ...

وقد تأخذ مظهراً من مظاهر (عبادة الأبطال) ، أو الإنتمائية العامة ...

ويصبح كل ما هو أمامك : مجموعتنا ، جمعيتنا ، فرعنا ، كنيستنا (على مستوى الحى) ، بلدنا ، قريتنا ...

[٥٣]الإنقسام

قال أحد القديسين :

لو اجتمع عشرة آلاف من الملائكة ، لكان لهم رأى واحد ، وللأسف حينما يجتمع عدد قليل من البشر، فإنهم يختلفون ! ...

والإنقسام قد يكون دليلاً على وجود الذات ...

الذات التى تعمل وحدها ، بعيداً عن روح الله ...

والتى تريد أن تنفذ رأيها ، مهما كانت النتيجة ...

والتى لا تبالى بالنتائج الخطيرة التى يسببها الإنقسام !

وما هى هذه النتائج ؟ ... قال أحد الأدباء :

تنازع نسران على فريسة ، كانت من نصيب الثعلب ...

ولهذا قال السيد المسيح « كل بيت منقسم على ذاته يخرب » ، إنها عبارة ينساها المنقسمون .

وكثيراً ما تقوم جماعة بعمل إنقسام ، وتترك الجو خراباً ، ثم تمضى لحالها ، وكأنها لم تفعل شيئاً ! بينما يطالبها الله بدم ما قد خربته بأفعالها ...

الإنقسام بين الأخوة يدل على عدم محبة ...

وانقسام الصغير على الكبير يدل على التمرد ، وعدم الطاعة ، وعدم احترام الرئاسات ... وكلها خطايا .

كما قد يدل الإنقسام على كبرياء فى النفس ، أو اعتداد بالذات . وغالباً ما يكون أب الإعتراف خارج الدائرة فى كل هذا ، لا يستشار فى شيء ...

فى رسالة بولس الرسول إلى أهل كورنثوس ، وبخهم على الإنقسام ، ووصفهم بأنهم جسديون (١ كو٣).

ذلك لأن المنقسمين بعيدون عن وحدانية الروح .

إن أعضاء الجسد الواحد تتعاون معاً لخير الجسد .

فلو شعر الجميع بهذه الوحدانية ، لعملوا كلهم لأجل هذا الخير الذى يتعاون فيه الكل معاً .

والوحدانية تحتاج إلى احترام الرأى الآخر ، أو على الأقل التدريب على التعامل مع الرأى الآخر ، دون ثورة ، ودون غضب ، ودون تشهير ، ودون تحطيم ...

نصيحة نقولها لكل من يسير فى طريق الإنقسام :

حاول أن تكسب غيرك ، بدلاً من انقسامك عليه .

كن موضوعياً ، وابعد عن المسائل الشخصية .

درب نفسك على التعاون وروح الجماعة ...

[٥٤] الذى يحب أن ينتفع

الذى يحب أن ينتفع ، يبحث عن المنفعة ، وليس الكلام الكثير هو الذى ينفعه ، بل إن مجرد كلمة واحدة قد تغيّر حياته كلها ... بل أنه ينتفع أيضاً من الصمت ، كما قال القديس بفنوتيوس عن أحد ضيوفه : « إن لم ينتفع من سكوتى ، فمن كلامى أيضاً سوف لا ينتفع » .

عبارة واحدة سمعها الأنبا أنطونيوس ، كانت سبباً فى رهبنته ، وفى تأسيس هذا الطقس الملائكى . وعبارة أخرى كانت سبباً لدخوله فى البرية الجوانية وحياة الوحدة .

إن الله لا يشترط أن يعلمك بكلام كثير ، إنما تكفى عبارة واحدة ، والوصايا العشر عبارات قصيرة ، ولكنها تحمل كل التعليم .

والصلاة الربية عبارات قصيرة وتحمل عمق طلبات الصلاة .

والذى يحب أن ينتفع ، يسعى وراء المنفعة بأى ثمن .

كان السواح يتحملون أسفاراً طويلة ، لكى يسمعوا مجرد كلمة من أحد الآباء ، والآباء أنفسهم كانوا ينتفعون ، من أى منظر ، أو حتى من أبنائهم .

إن الذى يطلب الخير يجده ...

ولوفى كلمة عابرة ، من أى أحد ، ولوفى حادث عابر ، حدث له أو لغيره . ينتفع حتى من أخطائه ، ومن أخطاء الناس .

قال أحد القديسين « لا أتذكر أن الشياطين أطغونى فى خطية واحدة مرتين » ذلك لأنه انتفع من سقطته الأولى ، فاحترس من الثانية ...

والسيد المسيح دعانا أن ننتفع من منظر زنابق الحقل ، ومن طيور السماء ، ونأخذ منها دروساً فى الإيمان وفى رعاية الله .

إن مصادر المنفعة موجودة : ليست فى كلام الوعاظ فقط ، ولا فى الكتب الروحية فحسب ، وإنما فى كل مكان ، وفى كل وقت . والمهم هو: هل تريد أن تنتفع أم لا .

وصوت الله يصل إلى كل أحد ، بأنواع وطرق شتى . ولكن « من له أذنان للسمع فليسمع » .

[٥٥] العمل الجاد

قال الكتاب « ملعون من يعمل عمل الرب برخاوة » ...

إن الذى يعمل عمل الرب ، يجب أن يكون « أميناً حتى الموت » . فالأمانة شرط أساسى للخدمة ...

بهذه الجدية كرز الرسل باسم المسيح ، وكانوا يكرزون « بكل مجاهرة وبلا مانع » وبقوة عظيمة كان الرسل يؤدون الشهادة ... ونعمة عظيمة كانت على جميعهم » (أع ٤ : ٣٣) .

ونتيجة لهذا العمل الجاد ، الأمين ، المخلص ، انتشر الملكوت . أنظر ما يقوله الرب لملاك كنيسة أفسس :

« أنا عارف أعمالك وتعبك وصبرك ، وقد احتملت ، ولك صبر ، وتعبت من أجل إسمى ولم تكل » (رؤ ٢) .

العمل الجاد يُبنى على الإيمان ...

كلما كان إيمانك بعملك وأهميته وخطورته ، إيماناً حقيقياً كاملاً ، على هذا القدر تكون جديتك فى عملك . والرخاوة فى العمل دليل على عدم الإيمان بأهميته...

والعمل الجاد يدل على إحساس بالمسئولية :

تماماً كما كان يعمل يوسف الصديق فى خزنه للحنطة ، شاعراً أن

حياة كثيرين تتوقف على أمانته ...

وهكذا فى الخدمة الروحية : حياة كثيرين تتوقف على أمانة الخادم . إن أهمل فى خدمتهم ضاعوا .

العمل الجاد عليه رقابة من داخل النفس ...

رقابة من ضمير الإنسان . ومن صوت الله فى داخله .

رقابة من شعوره الحى ، ومن غيرته المقدسة ...

إنه يعمل بجدية لأن « الوقت مقصر » وكل دقيقة لها حسابها ، وكل تأخير أو تراخ ، له خطورته ...

والعمل الجاد هو دائماً عمل ناجح ...

إنه عمل متقن ، لأن الجدية تتقن العمل ...

والعمل المتقن عمل ناجح . وقيل عن الرجل البار : « وكل ما يعمله ينجح فيه » ...

والعمل الجاد ، لا يهدأ حتى يتم ...

إنه لا يعترف بالتعب ، ولا يطلب راحة ...

ولا يستريح صاحبه حتى يتممه ، ويذوق ثماره ... مثل لعازر الدمشقى الذى لم يسترح حتى أخذ رفقة زوجة لابن سيده ، ولما أرادوا إراحته ، أجاب « لا تعوقونى » ...

[٥٦] أنا وحــدى

ظن إيليا النبي في وقت ما ، أنه الوحيد الذى يعبد الرب ، وقال له « وبقيت أنا وحدى لأعبدك » ، فرد عليه الرب أنه توجد سبعة آلاف ركبة لم تنحنِ للبعل .

ما أخطر الشعور ، بأننا الوحيدون الذين يعبدون الرب ، أو الوحيدون أصحاب المبادىء !!

وننسى أن هناك ٧٠٠٠ ركبة (وهى مضاعفات عدد كامل) تعبد الرب ، ونحن لا نعرف ...

هناك من يدينون الجيل كله ، ويحكمون على كل الشعب بالضياع والفساد !! وينسون أن هناك مختارين للرب ، قد لا يعرفونهم ، ولكن الله يعرفهم .

كان الكتبة والفريسيون يظنون أنهم هم وحدهم ، حفظة للناموس ، وهم وحدهم المدققون فى أمور الشريعة ، لذلك أصيبوا بالكبرياء وعجرفة القلب والتعالى على الآخرين ، وصاروا يدينون غيرهم ويصفونهم بأنهم خطاة . حتى السيد المسيح نفسه ، إتهموه بأنه كاسر السبت ، وناقض الناموس ، وانتقدوه لأنه كان فى اتضاع يجلس مع العشارين والخطاة ...

لما حورب الأنبا أنطونيوس بالبر الذاتى ، وظن أنه وحده الراهب ، أرسله الله إلى حيث القديس الأنبا بولا السائح ، ليريه أن هناك من هو أفضل منه ، وإن كان من الـ ٧٠٠٠ ركبة غير الظاهرين ...

ولما حورب القديس مكاريوس الكبير بنفس الحرب ، أرسله الله إلى إمرأتين متزوجتين فى الإسكندرية ، قال له إنهما فى نفس درجته الروحية ، أى أنه ليس وحده ... وهاتان كانتا من الـ ٧٠٠٠ ركبة المخفية ...

ما أصعب هذه الخطية ، أن يظن إنساناً أنه هو وحده الخادم الأمين ، هو وحده صاحب المواهب ، هو وحده صاحب المثل والمبادىء ، وغيره بلا مبدأ ، هو وحده الذى يصلح للقيادة والرئاسة ، وليس غيره !

إن المحب يفرح بوجود كثيرين مثله ، أو حتى أفضل منه ... كما قال موسى « يا ليت جميع شعب الله أنبياء » ... أما محب ذاته (فى أنانية) فإن هذا الأمر يتعبه ، أو على الأقل لا يفرحه ... ! يظنها منافسة له ، لأنه لا يهتم بما لله ، بل بما لنفسه ... !

[٥٧] الأحـــلام

١ ـ هناك أحلام من الله :

مثل الأحلام التى ظهرت ليوسف النجار ، وللمجوس ، قيل له فى حلم أن يأخذ الطفل وأمه ويمضى إلى مصر . وقيل لهم فى حلم أن يرجعوا من طريق آخر . وكذلك الأحلام التى رآها أو التى فسرها يوسف الصديق أو دانيال النبى : وكلها أحلام موجهة ، أو منبئة بشىء يحدث فى المستقبل .

٢ ـ وهناك أحلام من الشياطين :

يخدعون بها الإنسان و يضللونه ، ليسير فى طريق خاطىء أو يزعجونه بأحلام معينة . وقد ورد فصل طويل فى بستان الرهبان عن أمثال هذه الأحلام .

٣ ـ وهناك أحلام من ترسيبات العقل الباطن :

فكل ما تراه ، وما تسمعه ، وما تقرؤه ، وما تجمعه الحواس من كافة المصادر ، وما يجمعه الفكر ... كل ذلك يترسب فى عقلك الباطن ، ويختزن هناك ... ويخرج ولو بعد سنوات ، فى هيئة أفكار أو ظنون أو أحلام ...

وهذا وضع طبيعى جداً ...

وقد يخرج هذا الرصيد من عقلك الباطن ، فى صور متغيرة ... قد تختلف الأسماء ، أو الأزمنة ، أو الأماكن ، أو بعض التفاصيل ، ولكنها تقدم معنى راسخاً فى داخلك ، كان يكمن كشريط تسجيل ...

٤ ـ وهناك أحلام هى انعكاس لوضع جسدى :

كإنسان نام وهو مرهق ، يدق إلى جواره جرس منبه ليوقظه ، وهو لا يريد الإستيقاظ ، فيحلم بأنه جالس إلى جوار تليفون ، جرسه يدق .

والإنسان الحكيم لا يسمح للأحلام بأن تقوده .

ولا يصدق كل حلم ، ولا يعتبر كل حلم صادراً من الله . لأنه لو عرفت الشياطين بأنه يصدق الأحلام ، تظهر له فى أحلام كاذبة ، لكى تضلله .

والأحلام الشريرة لها أسباب كثيرة ...

بعضها جسدى ، وبعضها نفسى ، وبعضها حروب من الشياطين . ومن الأفضل أن الإنسان لا يعاود التفكير فيها حينما يستيقظ ، لئلا يكون تفكيره هذا سبباً فى تثبيتها ، وفى أحلام أخرى ...

[٥٨] الفكر الخاص

كثير من الناس يهوون نشر أفكارهم الخاصة ، وتقديم هذه الأفكار كمبادىء روحية للناس ، أو كعقائد يجب الإيمان بها ...

وكلما كانت هذه الأفكار جديدة وغير معروفة ، يزيد هذا من سرورهم ، و يفرحون إذا عرفوا شيئاً جديداً يقدمونه للناس يجعلهم فى نظرهم من أهل العلم والمعرفة !

وكلما كان هذا الجديد مختلفاً تماماً عما يعرفه الناس و يعتقدونه ، نرى هؤلاء المفكرين يفرحون بالأكثر، كما لو كانوا يحطمون مفاهيم عامة خاطئة ، لكى يقيموا على أساسها الجديد السليم ! ...

وهذا الأمر إذا صلح فى أى لون من ألوان المعرفة ، فهو لا يصلح فى العقيدة ، التى لا تحطم إيماناً قديماً تبنى على أنقاضه إيماناً جديداً ...

العقيدة كلما كان لها قدم ، كانت أكثر رسوخاً ...

والجديد فى العقيدة قد يكون بدعة ، إذا ما كان يحطم إيماناً قديماً مسلماً لنا من الآباء .

لذلك فإن المعجبين بفكرهم الخاص ، يحاولون بكافة الطرق أن يبحثوا له عن أصول قديمة تسنده ... وإن لم يجدوها ، يختلقونها اختلاقاً ! ...

هؤلاء لا يقرأون أقوال الآباء ، لكى يفهموا فكرهم ... إنما يقرأون لكى يتصيدوا نصاً ، أى نص ، يسندهم ...

يقتطعون هذا النص اقتطاعاً ، فاصلين إياه عما قيل قبله ، وعما قيل بعده ، وعن المناسبة التى قيل فيها ، وعن الفكر العام للأب الذى أخذوا عنه ... و يتخذون هذا الإقتباس وسيلة لإثبات فكرهم . وقد توجد من كتابات القديس الذى نقلوا عنه ، أقوال تناقض ما ينسبونه إليه ...

إنهم لا يبحثون عن الحقيقة ، إنما يبحثون عن إثبات لفكرهم ، مهما كان هذا الإثبات مصطنعاً ومغلوطاً ! ...

أما أنت أيها المبارك ، فى أمور العقيدة ، لا تحاول أن تنشر فكراً خاصاً ، إنما أنشر عقيدة الكنيسة ...

وكل فكر جديد يصل إلى مفاهيمك ، لا تعرضه على الناس ، إنما اعرضه على المسئولين فى الكنيسة لإبداء رأيهم فيه ، قبل نشره .

إن التعليم فى الكنيسة ليس مجالاً لعرض الأفكار الشخصية ، إنما هو مجال للتعليم الواحد الذى يستمد أصوله من التقليد الرسولى ، بإيمان واحد للجميع ...

[٥٩] الهـــدوء

تحدث بطرس الرسول عن « الروح الوديع الهادىء ، الذى هو قدام الله كثير الثمن » (١بط ٣ : ٤) .

ونصحنا بولس الرسول بهذا الهدوء ، فقال : « إحرصوا أن تكونوا هادئين » (١تس ٤ : ١١) .

والهدوء على أنواع كثيرة ، منها هدوء الأعصاب ...

الأعصاب التى لا تسرع إلى الغضب ، ولا تثور بسرعة ، ولا تحتد ، بل تعالج المشاكل فى هدوء ، وبالجواب اللين تصرف الغضب ، كما قال الحكيم .

قال الكتاب « أما الأشرار ، فكالبحر المضطرب ، لأنه لا يستطيع أن يهدأ ، وتقذف مياهه حمأة وطيناً . لا سلام قال الرب للأشرار» (أش ٥٧ : ٢٠) .

ومن أنواع الهدوء أيضاً ، هدوء القلب ...

فقد يتحكم إنسان فى إنفعالاته الخارجية بينما يكون قلبه من الداخل فى ثورة . أما الهادىء الحقيق ، فإنك تراه هادئاً من الخارج ، ومن الداخل أيضاً .

وهدوء القلب ، يشمل هدوءه من جهة الغضب ، وأيضاً من جهة الخوف ، والشك ، والغيرة وباقى المشاعر والإنفعالات والشهوات والحروب الداخلية التى تسبب صراعاً عنيفاً داخل النفس .

هذا هو الهدوء ، هو جزء من السلام الداخلى ...

ومن هدوء القلب ، ينبع هدوء الفكر ...

الفكر الهادىء المتزن ، الذى يعمل بغير اضطراب ، ولا قلق ، فيفكر الإنسان بعيداً عن صخب الإنفعالات .

هذا الهدوء الفكرى ، يساعد على الوصول إلى الحكمة . وكما قال الكتاب « كلمات الحكماء تُسمع فى الهدوء ، أكثر من صراخ المتسلط بين الجهال » (جا ١٠ : ٤) .

وهدوء الفكر ، يساعد عليه هدوء الحواس .

من أجل هذا سعى آباؤنا إلى حياة السكون ، شاعرين أنه بهدوء الجسد يقتنى هدوء النفس .

ما أجمل قول الكتاب عن فائدة الهدوء :

« لأنه هكذا قال الرب ... بالرجوع والسكون تخلصون ، بالهدوء والطمأنينة تكون قوتكم » (أش ٣٠ : ١٥) .

ليتنا نحرص أن نحيا فى هدوء ، ونطلبه من الرب .

[٦٠] الوسيلة الطيبة

لا يكفى أن يكون العمل الذى نعمله خيراً فى ذاته ، أو فى أهدافه . وإنما يجب أن تكون الوسيلة التى نعمله بها ، وسيلة خيرة وطيبة.

العنف مثلاً ، والشدة الزائدة ، والقسوة ، ليست كلها وسائل طيبة للتربية ، أو للحصول على النظام أو الطاعة.

إنما كثيراً ما تكون وسائل منفرة ، ولا تصلح لكل أحد . ويمكن أن يصل الإنسان إلى غرضه بغير عنف وبغير قسوة ، وبوسائل طيبة...

والشتيمة أيضاً ليست وسيلة روحية للرد على من يخالفك فى الإيمان ، أو يخالفك فى الرأى.

إنك بهذا الوضع تخسر من تناقشه . وإن كنت كاتباً أو مؤلفاً ، تخسر قارئيك أيضاً . والوضع السليم أن يكون الإنسان موضوعياً فى مناقشة الأمور الإيمانية والعقيدة ، بدون شتائم وإهانات ، لأنه «لا شتامون يدخلون ملكوت السموات» (١ كو٦: ١٠).

والهدم ، والإنتقاد المر ، ومحاولة تحطيم الآخرين ، ليست وسائل طيبة للتعبير عن الغيرة المقدسة.

فالغيرة يمكن التعبير عنها بوسيلة إيجابية بناءة ، تعالج الأمور فى روية ، وفى موضوعية ، وفى دراسة هادئة ، وتقديم حلول مقبولة ، وفى نفس

الوقت فى محبة. لأن الكتاب يقول «لتصر كل أموركم فى محبة» (١كو١٦:١٤).

والإنقسام ليس وسيلة طيبة للعمل الكنسى، ولا حتى للعمل الإجتماعى أو الوطنى.

الإنقسام يسبب ضعفاً فى الصفوف، وهو دليل على عدم التعاون، وعدم القدرة على معاملة الرأى الآخر، أو هو برهان على الفشل فى إقناع الطرف الآخر أو فى كسبه.

والكتاب يقول « رابح النفوس حكيم » (أم ١١ : ٣٠).
إن الحكيم يختار وسيلة طيبة لعمله الطيب.
لأن الوسيلة الخاطئة فيها تناقض مع العمل الطيب.

والعمل الطيب، إذا كانت وسيلته غير طيبة، يكون شركة من النور والظلمة، وخليطاً من البر والخطيئة، ولا يدل على أنه عمل روحى.

فلتكن وسائلنا طيبة وهادئة وروحية، أو على الأقل فلتكن غير معثرة ولا خاطئة.

[٦١] الفضائل الأمهات

هناك فضائل جزئية ، يتعب الإنسان جاهداً ، حتى يصل إليها . وهناك فضائل أمهات ، تشمل العديد من الفضائل داخلها ، وعن هذه نريد أن نتكلم ...

فى مقدمة هذه الفضائل : المحبـــة ...

وقد قال السيد المسيح عن هذه الفضيلة ، إنه بها يتعلق الناموس كله والأنبياء .

وشرح بولس الرسول للعناصر العديدة التى تتضمنها فضيلة المحبة : فقال أنها تتأنى ، وتترفق ، وأنها لا تحسد ، ولا تتفاخر ، ولا تنتفخ ، ولا تقبح ، ولا تطلب ما لنفسها ، ولا تحتد ، ولا تظن السوء ، ولا تفرح بالإثم بل تفرح بالحق ، وتحتمل كل شىء ، وتصدق كل شىء ، وترجو كل شىء ، وتصبر على كل شىء ... ولا تسقط أبداً (١ كو١٣) .

فالذى يقتنى المحبة ، يقتنى كل هذه الفضائل .

وكل ما ذكره بولس الرسول هو من محبتنا للقريب ...
أما محبتنا لله ، فإنها تشمل ولا شك أموراً عديدة :

تشمل الصلاة بكل درجاتها ، والتأمل ، والهذيذ ، وقراءة الكتاب المقدس ، ومحبة الكنيسة ، ومحبة الأسرار الكنســية ، والإجتماعات

الروحية ، والصوم ، والمطانيات ... كما تشمل أيضاً إطاعة جميع الوصايا ، لأن الرب يقول « من يحبنى يحفظ وصاياى » ...

ومن الفضائل الأمهات أيضاً : حياة التسليم ...

وحياة التسليم معناها أن يسلم الإنسان حياته تسليماً كاملاً للروح القدس العامل فى قلبه ، ليدبر حياته ...

ومن هنا تظهر فى هذا الإنسان ثمار الروح التى شرحها بولس الرسول فى (غل ٥ : ٢٢) فقال :

وأما ثمر الروح فهو محبة ، فرح ، سلام ، طول أناة ، لطف ، صلاح ، إيمان ، وداعة ، تعفف ...

ومن الفضائل الأمهات : فضيلة الإتضاع ...

والإنسان المتضع ، يقتنى الوداعة ، والهدوء ، والبعد عن الغضب ، وادانة الآخرين ، والبعد عن القسوة ...

و يشمل الإتضاع إنسحاق القلب ، ولوم النفس ، وفضيلة الدموع ، والحب ، ومباركة كل أحد ، وطلب بركة كل أحد ، والإستماع أفضل من التكلم ، وعدم التعالى ، وعدم الإفتخار ، وعدم الحديث عن النفس ، والرضا بكل شىء ، والقناعة ، والشكر ، والبساطة ...

[٦٢] محبة الإنتفـــاع

الذى يريد أن ينتفع ، يمكنه أن ينتفع من كل شىء ، ومن كل شخص ، ومن كل حدث .

إنه يستخرج الفائدة من كل ما يمر به .

يستفيد من الصالح ، ويستفيد أيضاً من الشرير ...

من الشخص الصالح يأخذ قدوة صالحة ، و يأخذ حباً ومعاملة طيبة . ومن الشخص الشرير ، يمكنه أن يقتنى فضائل الصبر والإحتمال والمغفرة للمسيئين ... كما يمكن تعلم الفضيلة من معرفة مضار ومساوىء الرذيلة التى تقابلها ...

قال أحد الحكماء : تعلمت الصمت من الثرثار ...

أى أنه من إدراك مساوىء الثرثرة ، أمكننى أن أعرف مدى فائدة الصمت فى إتقاء هذه الأخطاء ...

يمكننا أن نتعلم من أخطائنا ، ومن أخطاء الآخرين ...

والحكيم يعرف كيف يستفيد من الخطأ ، فلا يعود يقع فيه مرة أخرى . و يأخذ من الأخطاء خبرة فى حياته . والإنسان الكثير الخبرات هو مصدر من مصادر المنفعة .

الذى يريد أن ينتفع ، يمكنه أن ينتفع ليس من الأشخاص الذين يقابلهم فقط ، بل من الطبيعة أيضاً .

قال الحكيم : تعلم من النملة أيها الكسلان . إنه لأمر جميل حقاً ، أن تكون النملة مصدراً من مصادر المنفعة بالنسبة إلينا .

وكما ننتفع من الطبيعة ، يمكننا الإنتفاع من الأحداث ...

سواء الأحداث التى تحدث لنا أو لغيرنا ، كلها دروس نافعة فى الحياة ، لمن يحب أن يعتبر...

إن قصة الغنى الغبى ، كانت دروساً لكثيرين ...

وكل قصص الكتاب أيضاً وأحداثه هى أيضاً دروس ، وكذلك قصص وأحداث التاريخ ، كما قال الشاعر:

ومن وعى التاريخ فى صدره ... أضاف أعماراً إلى عمره.

إن الإنتفاع ، ليس مصدره الوحيد الآباء الروحيين .

مادام القلب يبحث عن المنفعة ، فإن الله لا بد أن يرسل هذه المنفعة بأنواع وطرق شتى ...

[٦٣] الصليب

يرمز الصليب إلى الألم . والصلبان الثلاثة ترمز إلى ثلاث حالات : صليب المسيح يرمز إلى الألم من أجل البر. والصليبان الآخران يشيران إلى الألم بسبب الخطية كعقوبة . و ينقسمان إلى نوعين . نوع يتألم بسبب خطاياه ، فيتوب و يرجع . والآخر يتألم بسبب خطاياه ، ولكنه يشكو و يتذمر ويموت فى خطاياه...

والصليب الذى لأجل البر ، هو أيضا على أنواع :

منها صليب الحب والبذل ، مثل صليب المسيح ، الذى تحمل الألم لكى ينقذنا «وليس حب أعظم من هذا ، أن يضع أحد نفسه عن أحبائه» ...

وهناك صليب آخر فى العطاء ، وأعظم عطاء هو العطاء من العوز ، حيث تفضل غيرك على نفسك ، وتحتاز لكى يأخذ غيرك ، مثلما أعطت الأرملة من أعوازها ...

وهناك أيضاً صليب الإحتمال : تحويل الخد الآخر ، وسير الميل الثانى . ليس فقط أن يحتمل الإنسان إساءات الناس إليه ، بل أكثر من **هذا أن يحسن إلى هؤلاء المسيئين ، بل أيضاً أن يحبهم ! ...**

من يستطيع هذا ؟ ... إنه صليب ...

هناك صليب آخر فى الجهاد الروحى : فى انتصار الروح على الجسد ، فى احتمال متاعب وحروب العالم والجسد والشيطان ... فى صلب الجسد مع الأهواء ... فى الإنتصار على الذات ، فى الدخول من الباب الضيق ...

والصليب هو التألم لأجل البر . هذا فقط للمبتدئين ... أما للكاملين فيتحول الصليب إلى لذة ومتعة ...

نشعر بضيق الباب فى أول الطريق . ولكننا بعد ذلك نجد لذة فى تنفيذ الوصية ، ونحبها . وحينئذ لا يصير الطريق كرباً ... والصليب الأول يصير متعة ...

كان الإستشهاد صليباً ، ثم تحول إلى متعة . وصار القديسون يشتهون الإستشهاد ، و يشتهون الموت ، و يفرحون به ...

والتعب من أجل الرب أصبح لذة ومتعة ، والألم أيضاً .

وهكذا اعتبر الكتاب أن الألم هبة من الله ...

« وهب لكم ، لا أن تؤمنوا به فقط ، بل أن تتألموا لأجل إسمه » متى يصبح الصليب فى حياتنا متعة ؟

[٦٤] الإيمــان

ليس الإيمان هو مجرد عقائد جامدة نحفظها عن ظهر قلب ، من علم اللاهوت وتعليم الكنيسة ، بل الإيمان هو بالحرى يقين داخلى عميق ، وثقة كاملة بالله وصفاته وعمله ...

إيماننا بالله ووجوده ورعايته وحفظه ، يعطينا سلاماً داخلياً ، وراحة فى القلب والفكر ، واطمئناناً بأن الله مادام موجوداً ، إذن فهو يهتم بنا أكثر مما نهتم بأنفسنا ، لذلك علينا أن نعيش فى هذا السلام ونثبت فيه .

والإنسان المؤمن لا يقلق أبداً ، لأن القلق ضد الإيمان ... ضد الإيمان بمحبة الله وحفظه ورعايته ...

وإذا آمن الإنسان بوجود الله فى كل مكان ، يشعر فى داخله بقداسة أى مكان يوجد فيه لوجود الله . وكما يشعر باطمئنان للوجود فى حضرة الله ، كذلك يشعر بأنه يلزمه التدقيق فى كل تصرفاته ، فالله ينظره ويسمعه ويشاهد كل أعماله ...

وفى كل خطية ، يقول الإنسان مع يوسف الصديق « كيف أخطىء وأفعل هذا الشر العظيم أمام الله » ...

وإيمان الإنسان بأن الله يقرأ أفكاره ، ويعرف خبايا قلبه ، وكل نياته

ومشاعره ، هذا الإيمان يمنح الإنسان استحياء فى فكره وفى مشاعره ، خجلاً من الله الذى يفحص كل هذا ...

وإيمان الإنسان بالحياة الأخرى ، و بيوم الدينونة الذى يعطى فيه حساباً عن كل أعماله وأفكاره ومشاعره وأقواله . كل هذا يجعله يوقن بفناء العالم ، ووجوب الإستعداد لذلك اليوم الرهيب ، مع العمل من أجل الأبدية التى سيعيشها بعد الموت ...

و يضع هذا الفكر فى قلبه ، قائلاً مع داود « عرفنى يارب نهايتى ، ومقدار أيامى كم هى ، لأعلم كيف أنا زائل » (مز٣٩) .

إن الإيمان ليس مجرد إقتناع عقلى ، إنما هوعمل داخل القلب ، يقوده فى الحياة كلها ...

وهو ليس لحظة معينة يقبل فيها الإنسان الله ، إنما هو عمل العمر كله ، الذى يعيشه المؤمن فى « الثقة بما يرجى ، والإيقان بأمور لا ترى » ...

لذلك فإن عبارة الإيمان تعنى فى غالبية الحالات ، الحياة المسيحية كلها بما فيها من عقيدة وتصرف ...

[٦٥] الصــلاة

الصلاة فى معناها البسيط حديث مع الله ...
وفى معناها الأعمق صلة بالله ...
صلة حب . صلة عاطفة . قبل أن تكون كلاماً ، والكلام بدون حب لا معنى له .

ولهذا يقول الرب معاتباً « لأن هذا الشعب قد اقترب إلىّ بفمه وأكرمنى بشفتيه وأما قلبه فأبعده عنى » (أش ٢٩ : ١٣) .

ولهذا كانت صلاة الأشرار غير مقبولة أمام الله ، بل ومكرهة للرب ، لأنها لا تصدر عن حب ، إلا إن كان شريراً منسحقاً يطلب التوبة كالعشار .

وقد قال الرب للذين يصلون بغير نقاوة قلب « فحين تبسطون أيديكم أستر عينى عنكم وإن كثرتم الصلاة لا أسمع . أيديكم ملآنة دماً ... إغتسلوا تنقوا ، إعزلوا شر أفعالكم من أمام عينى . كفوا عن فعل الشر » (أش ١ : ١٥، ١٦) .

الصلاة هى جسر يوصل بين الأرض والسماء . شبهوها بسلم يعقوب الواصلة بين السماء والأرض . والصلاة هى مفتاح السماء ، وهى لغة الملائكة وهى عملها ، وهى حياة الروحيين .

والصلاة هى اشتياق النفس للوجود مع الله . هى اشتياق المحدود إلى غير المحدود ، واشتياق المخلوق إلى خالقه ، واشتياق الروح إلى مصدرها وإلى شبعها ... فى الصلاة يرتفع الإنسان عن مستوى المادة لكى يلتقى مع الله .

مقياس نجاح الصلاة ، أنه كلما تود أن تترك وتنتهى لا تستطيع . بعكس الإنسان الذى يفرح أنه ختم الصلاة وقال آمين .

الإنسان الناجح فى صلاته لا يستطيع أن يتركها ، بل ينشد أمام الملائكة أغنيته المحبوبة « أمسكته ولم أرخه » (نش ٣ : ٤) .

من ينجح فى الصلاة ، لا يفضّل عليها عملاً آخر أياً كان . من أجلها هرب القديسون من العالم والأشياء التى فى العالم . وبحثوا عن الهدوء والسكون وأحبوه بكل قلوبهم لكى ينفردوا بالله .

الصلاة هى مذاقة الملكوت ، تبدأ هنا وتكمل هناك .

وإذا تعلق بها الإنسان تصير الصلاة له حياة . وتصير حياته صلاة ...

هناك قديس نكتب سيرته الكاملة (سيرة حياته) فى كلمة واحدة ونقول « كانت حياته صلاة » صلاة دائمة غير منقطعة ، صلاة لم يمر وقت تنقطع فيه ولو لحظة يقول فيها العازف سلاه ... حتى فى نومه لا ينقطع حديثه مع الله ، بالعقل الباطن وفى اللاوعى ، أترى هذا تفسير العبارة « كنت أذكرك على فراشى » ؟ ...

[٦٦] حيـــاة البـــذل

كل ما يطلبه الله منك هو قلبك « يا إبني أعطني قلبك » ... وهو عندما يطلب قلبك ، إنما يطلب حبك . ودليل الحب هو البذل .

من هنا كانت الحياة الروحية هي حياة البذل ، بذل كل شيء حتى الحياة ذاتها . ومغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ .

لا بد أن تترك شيئاً من أجل الله ، لتثبت محبتك لله . و يعتبر حبك عظيماً كلما عظم ما تتركه لأجله .

أنظر إلى إبراهيم أب الآباء ، كيف بدأ علاقته مع الله ؟ ... بدأها بقول الرب له « أخرج من أرضك ، ومن عشيرتك ، ومن بيت أبيك ، إلى الأرض التي أر يك » (تك ١٢) .

ومن أجل الله ترك بيت أبيه وأسرته ووطنه . فهل اكتفى الله بهذا ؟ كلا ، لقد قال له حتى في أرض غربته « خذ إبنك وحيدك ، الذي تحبه إسحق ... وأصعده هناك محرقة » ... وأطاع ابراهيم وذهب ليقدم إبنه ...

موسى أيضاً ، من أجل الله ترك الأمارة ، والقصر الملكي ، والغنى والسيطرة « حاسباً عار المسيح غنى أعظم من خزائن مصر »
(عب ١١ : ٢٦) .

والرسل قالوا للسيد المسيح « تركنا كل شيء وتبعناك » ... وقال بولس الرسول « من أجله خسرت كل الأشياء وأنا أحسبها نفاية ، لكى أربح المسيح » (ف٣:٨) .

والبذل يصل إلى قمته عندما تبذل كل شيء : كالأرملة التى دفعت الفلسين ، والأرملة التى أعطت كل طعامها فى المجاعة لإيليا النبى ... « بع كل مالك ، وتعال اتبعنى ، حاملاً الصليب » .

الله نفسه أعطانا حبه مثال البذل « هكذا أحب الله العالم ، حتى بذل إبنه الوحيد » ، « ليس لأحد حب أعظم من هذا : أن يضع أحد نفسه من أجل أحبائه » (يو١٥ : ١٣) .

والشهداء بذلوا ذواتهم « ولم يحبوا حياتهم حتى الموت ، من أجل محبتهم للسيد المسيح .

وأنت أيها العزيز ... ماذا بذلت من أجل المسيح ، الذى من أجلك أخلى ذاته ، وأخذ شكل العبد ، ومات على الصليب ؟

لست أطلب منك الآن أن تبذل من أجله الحياة كالشهداء (فلهذا الأمر زمان خاص) ، وإنما **أهم شيء تتركه من أجله هو أن تترك خطاياك المحبوبة .**

[٦٧] التكامل فى الفضيلة

الحرفية فى الفضائل تتلفها ...

والحكمة فى الفضيلة تعطيها معنى قو ياً عملياً ...

مثال ذلك فضيلة طول الأناة والصبر .

« بصبركم تقتنون أنفسكم » هكذا قال الكتاب (لو٢١ : ١٩) .

ويمكن بالوقت أن تدرك حلول أمور كثيرة ، وقد تكون العجلة والتسرع حر باً من الشيطان ، والتسرع أيضاً يورث القلق والإضطراب .

ومع ذلك فهناك أمور تحتاج إلى بت سر يع ...

و بدون سرعة قد ينتهى الأمر إلى كارثة أو ضياع ...

كالإفتقاد ، وإنقاذ الخطاة ، ونقل إنسان من مكان معثر، وحل مشكلة زوجية قبل أن تتفاقم وتصل إلى القضاء ، ومعاقبة مخطىء قبل أن يتحول الخطأ فيه إلى عادة ، وقبل أن يصير خطراً على غيره ، و يتجبر فى انحرافه ... كل ذلك يحتاج إلى سرعة .

والتوبة أيضاً لا يصلح لها الصبر والإنتظار ...

إن فضيلة الصبر وطول الأناة وحدها ، لا تفيد بدون الحكمة ، فحرفية الفضيلة لا تصلح ...

كذلك ما أكثر الأخطاء التى نقع فيها ، إن أخذنا فضيلة الوداعة والهدوء مستقلة عن الحكمة ، ومستقلة عن مراعاة الظروف المحيطة ...

فهناك مواقف من الغيرة المقدسة ، لا يصلح لها الحلم مجرداً ، ولا الوداعة مجردة ، وإنما يصلح لهذه الفضيلة شىء من الغضب المقدس . ولكن هذا الغضب يجب أن يكون مندمجاً مع الطهارة ونقاوة القلب ، بحيث ينطبق عليه قول الكتاب «إغضبوا ولا تخطئوا» (مز ٤) .

لهذا كله يجب أن يوجد تكامل بين الفضيلة ، ولا يصح أن تسير الفضائل فرادى .

الغيرة تكمل الوداعة ، والوداعة تكمل الغيرة .
طول الأناة تكمل الحكمة ، والحكمة تكمل طول الأناة .
مثلما تتكلم عن صفات الله ، فتقول :
الله عادل فى رحمته ، ورحيم فى عدله .
عدل الله مملوء رحمة ، ورحمة الله مملوءة عدلاً .

فى الله يوجد كمال ، وفى البشر يوجد تكامل .

[٦٨] أعياد القديسين

أعياد القديسين مجال لتجمعات ضخمة من المؤمنين، تطلب شفاعة أولئك القديسين، فى ملء الإيمان:

الإيمان بدالة القديسين عند الله، وبقبول الله لصلواتهم وشفاعتهم. والإيمان بخلود الروح، وعملها بعد الموت، والصلة الدائمة بين الكنيسة على الأرض وأرواح القديسين الذين انتقلوا.

وكثيراً ما تحدث معجزات فى هذه الأعياد نتيجة لإيمان الناس، ومنح الرب لهم سؤل قلوبهم حسب إيمانهم. وكم كان الأجدر بنا تسجيل كل المعجزات التى تحدث فى أعياد القديسين، تسجيلاً يقوى إيمان الجميع، ويريهم أن عهد المعجزات لم ينته أبداً، ولم يقتصر على العصور الأولى...

وقد انتفعت الكنيسة من هذه التجمعات الضخمة فى أعياد القديسين، لإقامة نهضات روحية، وبرامج نافعة لتعميق الإيمان، وقيادة الناس فى حياة الروح.

فقضت على كل أنواع الملاهى والعبث، وأقامت القداسات اليومية، ونظمت إذاعة داخلية فى عيد كل قديس، تذيع التراتيل والألحان والعظات والتعاليم الروحية فى نواحى الحياة المختلفة...

مع تنويع البرامج الروحية ، لتشمل ما يهم العائلات ، والأطفال ، والشبان ، والسيدات ، والعمال ...

وتوسيع الإستفادة من الوسائل السمعية والبصرية فى عرض الأفلام الدينية المشوقة ، والشرائح بالفانوس السحرى وما يستلزم ذلك من بناء القاعات اللازمة لهذا الغرض ...

وكذلك توزع النبذات والمطبوعات النافعة للناس ، وعرض الهدايا التذكارية من صلبان وأيقونات وصور .

وأصبح الناس يقضون فترات روحية مركزة خلال هذه الأعياد ، يخرجون منها بحصيلة روحية كبيرة .

وأعياد القديسين أيضاً مجال لترابط المؤمنين معاً . ومظهر من مظاهر الحياة الأرثوذكسية العملية ...

ودليل على أن الكنيسة واحدة ، فى السماء وعلى الأرض ، فى هذه الحياة والحياة الأخرى معاً ...

إن أعياد القديسين بركة كبيرة ، وبخاصة بعد اهتمام الآباء الأساقفة بها ، فى الكنائس الأثرية التى يقصدها شعبنا ، ويشعر بقدسيتها وتأثيرها الروحى .

[٦٩] العمل مع الله

قال السيد المسيح « أبى يعمل حتى الآن ، وأنا أيضاً أعمل » ونود أن نركز على العبارة الأخيرة ...

وقال بولس الرسول عن نفسه وعن زميله أبولس « فإننا نحن عاملان مع الله » (١ كو٣ : ٩) .

إن الله يمكنه أن يعمل كل شيء وحده . ولكنه لا يشاء ، إنه يريدك أن تعمل معه .

وليس أن تعمل فقط ، بل أيضاً يريدك أن تتعب فى العمل ، مجاهداً ، وهو سيعطى كل واحد أجرته بحسب تعبه (١ كو٣ : ٨) .

وعمل الله ، ليس معناه أن يكسل البشر ...

وهوذا الرب فى سفر الرؤيا يطوّب ملاك كنيسة أفسس على عمله وتعبه ، فيقول له : أنا عارف أعمالك ، وتعبك ، وصبرك ، وقد احتملت ، ولك صبر ، وتعبت من أجل إسمى ولم تكل » (رؤ٢ : ٢ ، ٣) .

والعمل ـ بالنسبة إلى الروحانيين ـ هو شركة مع الله ، شركة مع الروح القدس ، شركة مع الطبيعة الإلهية فى العمل ... إنه استعداد الإرادة للشركة مع الله بل اشتراكها فعلاً ...

لهذا نحن نقول للرب فى أوشية المسافرين « إشترك فى العمل مع عبيدك » .

وليس الإعتماد على الله لوناً من التواكل واللامبالاة، إنما هو شركة فى العمل، معتمدة على قوة الله .

وبالعمل يختبر الله مدى محبتنا له، ومدى طاعتنا .

والمحبة كما قال القديس يوحنا الرسول «لا تكون بالكلام ولا باللسان، بل بالعمل والحق» (١يو٣: ١٨) .

إن داود النبي مع إيمانه بأن « الحرب للرب » ، وإيمانه بأن الله سيعمل، إلا أنه أخذ مقلاعه وحصواته، وتقدم إلى الصف، أمام جليات ...

لذلك إعمل ، واطلب من الله أن يشترك معك فى العمل . وحذار أن تكسل، فإن الله لا يحب الكسالى ...

عليك أن تغرس وأن تسق ، والله هو الذى ينمى ...

حقاً تقول فى اتضاع « ليس الغارس شيئاً ، ولا الساق شيئاً ... ولكن الله الذى ينمى، إنما الله ينمى ما تغرسه وما تسقيه وما تتعب فيه ...

[٧٠] راجع طريقك

هناك نوع من الناس ، يندفع فى طريق ، لا يغيره مهما حدث من متغيرات فى الخارج !

يثبت عليه فى عناد واصرار ، مهما ثبت له أنه طريق خاطىء ، ولا يؤدى إلى نتيجة !

يظن أن الكرامة فى الثبات ، حتى على الخطأ ، كما فعل هيرودس فى قتل يوحنا المعمدان !

ويظن أن تغيير الطريق نوع من التراجع ، لا يتفق مع القوة ، ولا يتفق مع الصلابة !

إنه لون من العناد ، هذا الذى يسلك فيه البعض ، ولا يغيرون طريقهم مع وضوح ضرره عليهم وعلى غيرهم ممن يسيرون فى ركابهم .

وقد يستمر البعض سنوات فى مسلكه ...

وقد تكون خصومة أو قضية ، وتستمر سنوات ...

وقد تكون قضية خاسرة ، ولا يتراجع عنها ...

أو تكون مسألة علاقات ، ويستمر البعض فيها مهما بدا أن هذه العلاقات لا تنتهى بخير...

أما أنت فراجع طريقك بين الحين والآخر ...

لا مانع من إعادة تقييم الموقف وظروفه وملابساته ، وما يتوقعه الإنسان من نتائج ، ويرى ما يلزم من تصرف ، يناسب الآن ، وليس الماضى الذى عاش فيه ...

إن مراجعة الطريق فيها حكمة ...

فليس المهم الثبات فى طريق معين ، إنما المهم أن هذا الطريق يوصل إلى الخير المرجو .

الطريق هو مجرد وسيلة . أما الهدف فهو الغاية ...

إهتم إذن بالهدف والغاية ، واختر لهدفك فى كل حين ما يناسبه من طرق ...

كثيرون ضيعوا حياتهم بسبب التشبث والعناد ...
والبعض ضيعوا كثيرين معهم ، بنفس الأسلوب ...
وغالباً عاش هؤلاء وأولئك بدون إرشاد ...
إعتمدوا على فكرهم ، أو بالحرى على إنفعالاتهم ، فضيعوا الحياة بلا فائدة ، وبغير حكمة ...

[٧١] الإستفادة من الأخطاء

كل إنسان معرض للخطأ ، ولكن الإنسان الحكيم يستفيد من أخطائه : يستفيد خبرة روحية ، ومعرفة ، وحرصاً حتى لا يخطىء فى المستقبل . وفى هذا قال أحد الآباء « لا أذكر أن الشياطين أطغونى فى خطية واحدة مرتين » ...

والإنسان الروحي يقتنى من أخطائه تواضعاً ...

فيعرف و يتأكد أنه إنسان ضعيف ، معرض للخطأ مثل باقى الناس ، ومعرض للسقوط . فلا يتكبر ولا يتعجرف ولا يظن فى نفسه أنه شيء . وكما قال بولس الرسول « إذن من يظن أنه قائم ، فلينظر لئلا يسقط » (١كو١٠: ١٢) .

الجاهل إذا أخطأ ، قد يضعف و يستمر فى خطئه ، و يتعود السقوط ، وقد ييأس و يتملكه الحزن و ينهار .

أما الحكيم ، فإنه بخطيئته يتفهم حيل الشياطين وحروبهم ، ومداخلهم إلى النفس البشرية ، فيحتاط ، و يكون أكثر تدقيقاً . وقد يساعده هذا على إرشاد غيره ، إذ يكون أكثر دراية بالطريق ...

والإنسان الروحي يستفيد من أخطائه إشفاقاً على الآخرين ، كما

قال الرسول «أذكروا المقيدين ، كأنكم مقيدون معهم . واذكروا المذلين كأنكم أنتم أيضاً فى الجسد» (عب١٣ : ٣) .

ولهذا فإن الروحى إذا سقط ، يكون أكثر عطفاً على غيره ، لا أكثر إدانة وتوبيخاً لأنه يعرف بنفسه مدى قوة الشياطين ، وضعف النفس البشرية .

والإنسان الروحى يستفيد من أخطائه تدرباً على الصلاة ، من أجل نفسه ومن أجل غيره ، لأنه يوقن تماماً أن نصرة الإنسان لا تعتمد على قوته ومهارته ، إنما على معونة الله الذى يقودنا فى موكب نصرته ، لذلك هو دائماً يلتصق بالصلاة ، و يقول للرب «إسندنى فأخلص» ... حارب عنى ...

إن الإنسان الباحث عن المنفعة ، كما ينتفع من أخطائه ، ينتفع أيضاً من أخطاء غيره ...

ولهذا سمح الله فى كتابه المقدس أن يذكر لنا أخطاء البعض ، حتى الأنبياء والصديقين ، لكى ننتفع من أخطائهم ...

إن الله الذى « يخرج من الجافى حلاوة » ، هو أيضاً قادر أن يعطينا من كل خطية درساً نافعاً لخلاص أنفسنا ... وهكذا نستفيد من كل أحد نقابله فى حياتنا : من بر الأبرار نستفيد قدوة ، ومن خطيتنا وخطايا غيرنا نستفيد خبرة وحرصاً ...

[٧٢] النمـــو

من صفات الحياة الروحية دوام النمو...

يبدأ الإنسان علاقته مع الله بالتوبة ، ثم ينمو من مخافة الرب حتى يصل إلى محبته ، ثم ينمو فى الحب حتى يصل إلى القداسة ، كما قال الكتاب « كونوا أنتم أيضاً قديسين ، فى كل سيرة . لأنه مكتوب : كونوا قديسين لأنى أنا قدوس » (١بط ١ : ١٥، ١٦) .

وهل يقف الإنسان عند حد الوصول إلى القداسة ؟

كلا ، وإنما يسعى حتى يصل إلى الكمال .

كما قال الكتاب « كونوا أنتم كاملين ، كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل » (مت ٥ : ٤٨) .

والذى يسعى فى طريق الكمال ، لا يدرك له نهاية ، مهما نما ومهما ارتفع . فالكمال لا حدود له ...

وهناك درجات فى الكمال كل واحدة أعلى من غيرها ...

هوذا بولس الرسول كان قديساً ، وقد صعد إلى السماء الثالثة ، وصنع آيات وعجائب ، ومع ذلك نراه يقول :

« لست أنى قد نلت ، أو صرت كاملاً ، ولكنى أسعى لعلى أدرك ... أنا لست أحسب نفسى أنى قد أدركت ، ولكنى أفعل شيئاً ، إذ أنا أنسى

ما هو وراء، وأمتد إلى قدام» (ف٣: ١٢، ١٣).

ويختم الرسول قوله عن هذا النمو «فليفتكر هذا جميع الكاملين منا» ...

إذن حتى بالنسبة إلى الكاملين، ينبغي هم أيضاً أن «يمتدوا إلى قدام»...

ولقد شبه الرب المؤمن بحبة حنطة، تصير نباتاً، وينمو، فقال «والبذار يطلع وينمو، وهو لا يعلم كيف. لأن الأرض من ذاتها تأتى بثمر، أولاً نباتاً، ثم سنبلاً، ثم قمحاً ملآن فى السنبل»

(مر٤: ٢٧، ٢٨).

فهل أنت مثل النبات، دائم النمو، أولاً نباتاً، ثم سنبلاً، ثم قمحاً ملآن فى السنبل؟...

حاول أن تنمو، فالنمو يعطى حرارة دائمة، ووقوف النمو يوقف الحرارة فى القلب، فيفتر الإنسان.

وإن لم تستطع أن تنمو، على الأقل قف حيث أنت. ولكن إحذر أن ترجع إلى الوراء.

[٧٣] التفكير المتأخر

إنسان بدلاً من أن يفكر فى نتائج عمله قبل أن يقدم على عمله ، تراه يعمل دون تفكير فى العواقب . ثم بعد أن يعمل ، يبدأ فى أن يفكر فى نتائج عمله ، بعد أن فاتت الفرصة .

إنه التفكير الخاطىء المتأخر ...

إنسان آخر ينذر نذراً ، دون أن يفكر قبل النذر هل باستطاعته الوفاء به أم لا ... ثم بعد أن يتم النذر يبدأ أن يفكر ... ويحاول أن يغيِّر أو يبدل ، أو يعلن عجزه ...

إنه تفكير متأخر ، يحدث بعد وقته المناسب .

وامرأة تضيع زوجها ، بنوع من المعاملات يفقدها محبته ، أو طاعة لنصيحة خاطئة من أحد أقربائها . وترفض كل التدخلات للصلح . وبعد أن يكرهها زوجها ولا يعود يتصور المعيشة معها ، حينئذ تبدأ تفكر فى أن فقدها لزوجها ليس من صالحها ...

ولكنه تفكير متأخر يأتى بعد فوات الفرصة .

وأب لا يربى إبنه تربية حسنة ، ويظن أن التدليل هو دليل الحب . ويشب الولد على عدم الطاعة ، وعلى الإستهتار واللامبالاة ، وترسخ فيه هذه الأخطاء كطباع ، ويصبح مرارة قلب لأبيه وأمه وأخوته ولكل

المتصلين به . وهنا يفكر الأب فى تغيير أسلوبه واستخدام الحزم معه ... بعد فوات الفرصة ...

و يفشل الأب ، لأن تفكيره جاء متأخراً .

لا يكفى أن يكون للإنسان فكر صالح ، إنما يجب أيضاً أن يكون هذا الفكر متيقظاً من بدء الطريق ، ولا يأتى بعد فوات الفرصة ...

لقد رجعت العذارى الجاهلات بمصابيحهن إلى الرب ، ولكن بعد أن أغلق الباب ... ولم يدخلن .

ولقد قامت عذراء النشيد لتفتح الباب لحبيبها ، ولكن بعد أن تحول وعبر ... لذلك قالت « نفسى خرجت حينما أدبر ، طلبته فما وجدته ، دعوته فما أجابنى » .

كثيرون جاء تفكيرهم متأخراً ، فلم يستفيدوا ، وعاشوا فى ندم دائم وحسرة ... مثلما حدث لعيسو الذى « طلب التوبة بدموع ، ولم تعط له ، لأنه جاء بعد أن انتقلت البكورية والبركة إلى يعقوب ، وانتهى الأمر .

ما أجمل قول المزمور « أنا أستيقظ مبكراً » . حقاً « الذين يبكرون إلىّ يجدوننى » يبكرون فى الفكر.

[٧٤] فى نهاية العام

لا نريد أن يفاجئك العام الجديد دون أن تستعد لهذه البداية . وإنما تنبهك إلى هذا الموضوع من الآن ، لكى تستعد ...

*** إجلس أولاً مع نفسك ، لكى تعرف حقيقتها ...**

ليس فقط لتعرف أخطاءها ، وإنما بالأكثر لتعرف نقط الضعف الأصلية التى فيها ... وأسبابها ، ومقوماتها ...

ومن واقع هذه الجلسة مع نفسك ، أعدد نفسك للإعتراف ، وبخاصة الإعتراف العميق ، الذى يتناول الكليات فى حياتك أكثر من الجزئيات ... الأصول أكثر من الفروع ...

* وفى نهاية العام ، إدرس ما ينبغى لك ليكون عاماً مقدساً فى كل شىء ، ولكى تقول العبارة الجميلة التى فى مقدمة صلاة باكر فى الأجبية :

لنبدأ بدءاً حسناً ...

*** أنظر إلى سمات الحياة المسيحية ، الأساسية ، وليس إلى الفرعيات فى تفاصيل الحياة اليومية :**

ما مركز محبة الله فى حياتك ؟

ما مركز الإيمان ؟ الوداعة ؟ التواضع ؟ الرجاء ؟

ما مدى عمق علاقتك بالله ؟

أدخل إلى العمق . لا تكن سطحياً فى روحياتك ولا تكن سطحياً فى محاسبتك لنفسك .

* بل أنظر إلى حياتك كلها ، ومدى تطورها ... ؟

ما مسير الخط الروحى فى حياتك ؟

هل أنت سائر فى خط واضح ثابت ، تتقدم فيه وتنمو ، يوماً بعد يوم ؟

أم هناك تغير ، وتحول ، وانحراف عن المسيرة المقدسة ، وأشياء جديدة دخلت إليك ماكان يجب أن تدخل ؟!

* ونصيحة أساسية ، أقولها لك لتجلس هى أيضاً معك فى جلستك مع نفسك ومع الله :

كن صريحاً مع نفسك إلى أبعد حد ...

وحاذر من أن تبرر نفسك ، أو أن تضع لها أعذاراً ، وتلقى بالملامة على غيرك أو على الظروف !

إن الله سوف لا يسألك فى اليوم الأخير عن الظروف أو عن الغير ، إنما سيسألك عن نفسك ...

فادخل إذن إلى نفسك ، نفسك وليس سواها .

[٧٥] الأمين فى القليل

كن أميناً فى القليل ، يقيمك الله على الكثير ...

كن أميناً فى الشيء الذى تستطيعه ، حينئذ يقيمك الله على ما لا تستطيعه ...

كن أميناً على ضبط أفكارك فى حالة الصحو ... وحينما يرى الله أمانتك ، يقيمك على الأحلام التى تأتيك بغير إرادتك وليس لك تحكم فيها ...

كن أميناً على الوزنة الواحدة ، فيعطيك الله العشر وزنات ، أو أجر من أقيم على العشر وزنات .

كن أميناً من جهة الحروب التى تحاربك من الخارج ، حينئذ يقيمك الله على ينابيع التأملات والروحيات التى تنبع فى فكرك وقلبك من الداخل .

كن أميناً من جهة إخلاصك لليئة ، يقيمك الله على راحيل . تشفق على إبن هاجر ، يعطيك الرب إبناً لسارة . تخلص فى برية سيناء ، حينئذ يدخلك إلى كنعان .

تكون أميناً فى بيت فوطيفار ، فيقيمك الله على قصر فرعون ، وعلى

كل خزائن مصر ... تكون أميناً فى قصر أرتحشستا ، يقيمك الله على بناء هيكله فى أورشليم ...

إن كنت أميناً فى هذا العالم ، الذى هو القليل ، حينئذ يقيمك الله على الكثير، الذى هو الملكوت ...

تكون أميناً لله فى الأشياء التى ترى ، يقيمك الله على ما لا يرى . على ما لم تسمع به أذن وما لم يخطر على قلب بشر...

إن الله يريد أن يختبر أمانتك ، بأى شيء ، ربما بوصية بسيطة ، بثمرة واحدة تمتنع عنها ...

فإن كنت أميناً بالنسبة إلى شجرة المعرفة ، حينئذ يقيمك الله على شجرة الحياة، وعلى المن المخفى .

لا تستصغر القليل الذى معك ، وإنما كن أميناً فيه ، لأن الله لا ينظر إلى ما معك ـ قليلاً كان أو كثيراً ـ وإنما إلى أمانتك فيه ...

وحسب أمانتك ، سيعطيك الله ...

كان أنبا أبرآم أسقف الفيوم أميناً فى عمل الرحمة ، على ما فى يديه من أموال ، فأقامه الرب على رحمة أوسع ، وهى شفاء المرضى وإخراج الشياطين .

[٧٦] الحقيقة كلها

قد يفرحك الحديث عن محبة الله ، و يتعبك الحديث عن عدله . ولكن ينبغى أن توضع أمامك الحقيقة كلها .

لأن هذا هو الحق الإلهى ... الذى لا يفصل عدل الله عن محبته ، فعدل الله عدل رحيم ، ورحمة الله رحمة عادلة . عدل الله مملوء رحمة ، ورحمة الله مملوءة عدلاً ...

الإثنان معاً ، هما الحقيقة كلها ، كاملة ...

ونحن لا نسلك فى الروحيات ، بطريقة أنصاف الحقائق .

قد تفرح لمقالات عن الرجاء ، ولا تستريح لمقالات عن الصلاح والنقاوة والوصية والواجب المطلوب منك !

ولكنك مهما هربت من الحديث عن النقاوة ، فأنت مطالب بها ، سمعت أو لم تسمع . فيجب أن تضع الحقيقة كلها أمام عينيك . وتفرح بوصية الله كما فرح بها داود ، و وجدها مضيئة تنير العينين .

يجب أن تعرف الحق كله ، وتضعه كله أمام عينيك ، ما يعزيك وما يبكيك ...

تضع أمامك الوصية مهما كانت صعبة فى نظرك ، وليست نعمة الله العاملة فيك ، لكى تنفذ الوصية ...

وأيضاً السيد المسيح سار معنا بطريقة الحقيقة الكاملة . قال لنا «في العالم سيكون لكم ضيق » هذه نصف الحقيقة ، وبعدها النصف الآخر « ثقوا ، أنا قد غلبت العالم » . لذلك نحن لا نهرب من عبارة « يكون لكم ضيق » ، لكى نتعزى بتركها ! ... كلا ، بل نذكرها ، مهما كانت صعبة ... ونذكر معها نصفها الآخر «ثقوا ، أنا قد غلبت العالم » ...

عمل الروح القدس - على أهميته - هو نصف الحقيقة . والنصف الآخر هو أن نشترك معه فى العمل .

نصف الحقيقة هو الخلاص العظيم الذى قدمه المسيح .

والنصف الآخر هو كيف ننال هذا الخلاص .

نصف الحقيقة إنك إبن الله ... والنصف الآخر أن المولود من الله لا يخطىء .

هذه هى الحقيقة الكاملة ...

[٧٧] كيف تعترف

ليس الإعتراف هو أن تجلس لكى تحكى حكايات .

وقد يمر عليك وقت طويل تسرد فيه قصصك مع الناس ، دون أن تذكر ما قد أخطأت فيه ! ...

إنما الإعتراف هو أن تدين نفسك ...

تدينها أمام الله ، فى سمع الأب الكاهن ...
تقول : أنا أخطأت فى كذا وكذا ، فى كل ما قلت ...

وليس الإعتراف هو أن تجلس لتشكو غيرك ، وتشرح أخطاء الناس إليك . إنما أن تجلس لتشكو نفسك ...

وبالتالى ، ليس الإعتراف هو أن تجلس إلى أب الإعتراف ، لكى تلومه ، وتعاتبه على تقصيره من نحوك ، تقصيره فى افتقادك ، وفى إرشادك ، وعدم تتبع حالتك ، وعدم السؤال عنك ، وعدم إعطائك تداريب ... وفى كل ذلك لا تدين نفسك ، ولا تذكر أخطاءك ... إنما تدين أب اعترافك ! !

وليس الإعتراف ، هو مجرد التخلص من خطايا قديمة ، لارتكاب خطايا جديدة فى مكانها ، دون تغير حالتك !

إنما الإعتراف هو توبة . ويسمى سر التوبة .

وليس الإعتراف هو أن تأتى وفى قلبك تصميم على شىء معين ، تطلب من أب الإعتراف أن يوافقك عليه ، وإن لم يوافقك تغضب وتحزن وتبكى ، وتلح وتكثر الإلحاح ، لكى تحصل على هذه الموافقة ، مدعياً أنك لا تسلك بمشيئتك ، إنما بإرشاد أب الإعتراف !!

الإعتراف هو أن تشرح حالتك ، وتطلب الإرشاد باتضاع .

وليس الإعتراف هو مجرد جلوسك مع الأب الكاهن ، فى أى مكان ، ولو جلسة ودية ، لكى تحكى له ، وتدعه يفهم بذكائه أين يوجد الخطأ ! ...

إنما الإعتراف سر مقدس ، له خشوعه ، تشعر فيه أنك نادم ، تعترف لله نفسه بخطاياك ، فى سمع الكاهن .

الإعتراف هو أن تجلس إلى نفسك أولاً ، تفحصها وتعرف خطاياها وضعفاتها ، وتبكتها على كل ذلك ، وتصمم على حياة فاضلة ، طالباً من الله معونة فى ذلك ...

ثم تأتى إلى أب الإعتراف ، بقلب منسحق ، تذكر له ما قد أخطأت فيه ، طالباً المغفرة والصفح ، وطالباً الإرشاد والنصح والصلاة من أجلك ...

[٧٨] تأملات فى الغطاس

آدم أخطأ ، ولم يطلب التوبة ، ولا سعى إليها ...

وإذا بالسيد المسيح ، القدوس الذى هو وحده بلا خطية ، **يقف أمام المعمدان ، كتائب ، نائباً عن آدم وذريته ، مقدماً عنهم جميعاً معمودية توبة فى أسمى صورها .**

حمل خطاياهم ، ليس فقط أثناء صلبه ، وإنما فى حياته أيضاً كإبن للبشر . ولذلك سُرَّ الآب به وقال : « هذا هو إبنى الحبيب الذى به سررت » ...

إن الله لا يُسر بتبرير الإنسان لذاته ، وبأن يلتمس لنفسه الأعذار كما فعل آدم وحواء ، اللذين بدلاً من أن يدينا نفسيهما أمام الله ، أخذ كل منهما يلقى بالذنب على غيره .

أما السيد المسيح ، فلم يلق ذنباً على غيره ، وإنما أخذ ذنب الغير ، **وحمله نيابة عنه ، وقدم عنه معمودية توبة ، وأفرح بكل هذا قلب** الآب ، فقال : « هذا هو إبنى الحبيب الذى به سررت » ...

الذى بلا خطية ، صار حامل خطية ، من أجلنا ...

لم يخجل من أن يتقدم وسط صفوف الخطاة ، ليطلب العماد من يد عبده يوحنا . ولما استحى منه هذا النبى العظيم ، أجابه فى وداعة « إسمح

الآن . لأنه يليق بنا أن نكمل كل بر» ...

وأعطانا بهذا درساً عملياً فى حياتنا .

أعطانا درساً أن نحمل خطايا الغير ...

وأن ندفع الثمن نيابة عنهم ، بكل رضى ...

وأن لا نقف مبررين لذواتنا ، مهما كنا أبرياء ...

وأننا بهذا نكمل كل بر ...

أتراك تستطيع أن تدرب نفسك على هذه الفضيلة ؟

إن القديس يوحنا ذهبي الفم يقول :

إن لم تستطع أن تحمل خطايا غيرك وتنسبها إلى نفسك ، فعلى الأقل لا تجلس وتدين غيرك وتحمله خطاياك ...

إن لم نستطع أن نحمل خطايا الناس ، فعلى الأقل فلنحتمل خطايا الناس من نحونا ، ولنغفر لهم ...

بهذا نشبه المسيح ، وبهذا نستحق أن ندعى أولاد الله . وبالحنان الذى نعامل به الناس ، يعاملنا الله ...

[٧٩] العنف أم الحزم

كثيرون يخلطون فى تصرفاتهم بين العنف والحزم .

الحزم مقبول حينما يلزم . أما العنف فإنه منفر ...

حينما استشار رحبعام الشيوخ ، والشباب : نصحه الشيوخ بالموقف اللطيف الطيب ، ونصحه الشباب بالعنف . ونفذ الرأى القائل بالعنف ، فخسر كثيراً ، وتمزقت المملكة (١مل١٢) وفشلت سياسة العنف التى اتبعها رحبعام .

وقد وقف الله ضد عنف فرعون ، وصعد صراخ الناس إلى الرب من جراء هذا العنف ، فنزل لإنقاذهم .

كان عيسو و يعقوب أخوين ، وكان عيسو يمثل العنف ، وكان يعقوب يمثل اللطف والهدوء . و يقول الكتاب إن الله أحب يعقوب حتى قبل أن يولد ...

الإنسان العنيف ، ربما تكون فى داخله قساوة قلب . أما الوديع فيتميز بالحنو والحب والعطف .

الإنسان العنيف ، ربما تسند عنفه كبرياء داخلية . أما الوديع فإنه يكون متواضعاً فى معاملاته .

وقد امتدح الرب الوداعة والإتضاع ، فقال « تعلموا منى ، لأنى وديع ومتواضع القلب » ...

العنف يمكنك أن تخضع به الناس بالقوة وتسكتهم ، ولكنك لا تستطيع به أن تكسب محبتهم .

إنه يصلح لإخضاع الأشرار ، الذين يلزمهم الردع خوفاً من إيذائهم لغيرهم ، ولكنه لا يصلح فى التعامل مع النفوس الهادئة الوديعة ، و يفشل تماماً مع النفوس الحساسة .

العنف هو السلاح الأخير الذى يلجأ إليه الحكيم ، حينما تفشل كل الوسائل الهادئة .

ولكنه لا يمكن أن يكون أسلوب التعامل الدائم . وليس من الحكمة البدء بالعنف ، قبل الأساليب الهادئة .

فرق كبير بين « إنسان عنيف » أى أن العنف قد صار جزء من طبعه ، وإنسان آخر هادىء عموماً فى طبعه ، ولكنه يستخدم العنف للضرورة ، حينما لا تصلح الأمور إلا به . هنا نسميه حزماً ...

وأحياناً يوجد حزم بدون عنف ...

[٨٠] مســتويان

يوجد فى حياة الفضيلة مستويات ، نذكر من بينها :

المستوى الروحى ، والمستوى الإجتماعى .

الإنسان الممتاز روحياً ، لا بد أن يكون ممتازاً إجتماعياً ولكن الإنسان الإجتماعى ، لا يشترط أن يكون روحياً .

ربما يستطيع الشخص الإجتماعى أن يكسب محبة الوسط المحيط به ، بطرق لا يستطيعها الروحى ، فى مجال الدعابة والترفيه ... وبأسلوب قد يكون فيه الملق ، أو الكذب . وقد يساعد غيره بطرق لا يقبلها ضمير الإنسان الروحى ...

وهكذا ينجح الإجتماعى فى كسب الناس بطريقة غير روحية ...

والشخص الروحى يحب أن يكسب الناس ، ولكن بطريقة لا يخسر بها الله ، ولا يفقد بها نقاوته ...

ومن هنا اختلفت مقاييس ما يليق وما لا يليق ...

كذلك فإن الشخص الروحى ، ليس هدفه فقط أن يكسب الناس لنفسه ، وإنما أن يكسبهم لله قبل كل شىء . فروحياتهم مهمة عنده كروحياته تماماً .

والشخص المثالى هو الذى يجمع الأمرين معاً : فيكون إجتماعياً ناجحاً ، محبوباً من الناس ، وفى نفس الوقت يكون أسلوبه روحياً سليماً لا خطأ فيه .

سهل جداً على شخص روحى ، أن يدرب نفسه على الصمت . فلا يخطىء بلسانه... ولكن أقوى منه ، الروحى الذى يتكلم ، وليس فقط لا يخطىء ، بل من الناحية الإيجابية ، يفيد غيره ، و يكون محدثاً لبقاً يفرح الناس بحديثه ...

سهل جداً أن يمتنع إنسان روحى عن الفكاهة ، و يكون جاداً باستمرار. ولكن قليلين يستطيعون أن ينسجموا مع جديته الدائمة ، و يسعدهم أن يروا إنساناً روحياً ، هو فى نفس الوقت شخص بشوش مرح ، يضحك معهم دون أن يخطىء ، ودون أن يخطئوا .

الروحانية ليست تزمتاً ، فالتزمت ينفر الناس ...

والروحانية لا ترتبط بالوحدة فى بعدها عن المجتمع وأخطائه ، وإلا كان الدين لا يصلح للمجتمع ...

إنما من الروحانية التكيف مع المجتمع ، وهو مستوى أعلى من المستوى الإجتماعى . وليس من الحكمة أن يجعله البعض أقل منه . وإلا كان ذلك لوناً من الإنطواء ...

[٨١] القليل والكثير

من الأمثلة المشهورة « قليل دائم خير من كثير متقطع ». وهذا المثل يصلح أيضاً للحياة الروحية.

كثيرون يقفزون قفزات عالية سريعة، ببدايات فوق طاقتهم، لا يستطيعون أن يستمروا فيها، فيرجعون إلى الوراء وما تلبث أن تملكهم الكآبة ثم اليأس ...

والوضع الروحى السليم، أن يبدأ الإنسان بما فى مستواه، لأن القليل الدائم يعطى ثباتاً فى الحياة الروحية.

بينما الكثير الذى لا يثبت، يسبب إرتباكاً، ويدل على عدم نظام، وعدم السير حسب مشورة حكيمة.

إن من يصوم بدرجة معتدلة، ينمو فيها قليلاً قليلاً، حتى يصل إلى مستوى روحى قوى ... هذا أفضل ممن يبدأ بمستوى عال لا يقدر عليه، فيظل ينحدر شيئاً فشيئاً، وكأنه لم يسر فى الطريق بعد ...

ولكن القليل الذى نقصده هو القليل الذى فى مستوى قدرتك، وليس القليل الذى يعنى التكاسل.

والله قادر أن يبارك القليل، وأن ينميه ...

يجب أن تسير فى روحياتك على أرض ثابتة . تخطو الخطوة التى لا ترجع منها، بل تتعداها إلى غيرها، وتكسب خبرة كل خطوة...



[٨٢] المنفعـــة

كثيرون يطلبون كلمة منفعة . ولكن هل كلهم ينتفعون ؟

إن المنفعة لها ولا شك مصدران :

الأول : أن تكون الكلمة ، كلمة نافعة ، صالحة للبنيان .

والثانى : أن يكون السامع من النوع الذى ينتفع .

الذى يحب أن ينتفع ، يمكنه أن ينتفع حتى من كلمة التوبيخ ، حتى من الكلمة القاسية ، حتى من الكلمة التى تقال لغيره وليس له ...

إننا مازلنا ننتفع من الكلمات التى قالها الآباء لأناس عاشوا فى أيامهم ، فى غير جيلنا ...

إن كلمات المنفعة موجودة : إن أردناها بنية صادقة ، نجدها أمامنا ... فالكتب مملوءة بكلام المنفعة ، وأفواه المرشدين تفيض حياة ، لمن يريد الحياة ...

ولهذا بعد أن قال السيد المسيح كلمات منفعة لكل من ملائكة الكنائس السبع ، قال بعدها مباشرة :

« من له أذنان للسمع فليسمع » .

إن كلمة المنفعة ، تحتاج إلى أذن للسمع ... تحتاج إلى حب

المنفعة، وأن تتعاون مع هذا الحب، إرادة منفذة...

لأن المعرفة وحدها لكلام المنفعة لا تكفى، فالمعرفة وحدها دينونة، لأن «الذى يعرف أكثر يطالب بالأكثر»... وقد قال السيد «الكلام الذى أقوله، هو يدينهم فى اليوم الأخير»...

إن أناساً سمعوا السيد المسيح، ولم ينتفعوا من سماعهم، بل ان أحدهم مضى حزيناً...

وكثيرون سمعوا فأُعجبوا بالكلام، ولكن لم ينفذوا.

والبعض سمعوا بولس الرسول، فقالوا: ماذا يريد هذا المهذار أن يقول؟!... ولم ينتفعوا حتى من كلام بولس.

كلمة المنفعة كانت موجودة، ولكن موجودة بلا منفعة!

وأمنا حواء سمعت الكلمة من الله، ورددتها بحذافيرها، ولم تنتفع، بل وقعت فى نفس اليوم...

إن الناس يطلبون كلمة منفعة، ولكن هل المنفعة هى بمجرد الكلام؟!...

[٨٣] الشــكليات

كثير من الناس فى عبادتهم ، وفى علاقتهم بالله ، يهتمون بالشكليات ، ويتركون الجوهر.

فى الصلاة مثلاً ، يقفون أمام الله ، و يكلمونه ، ويهتمون بالكلام وكثرته . وكل هذه شكليات ، لأن جوهر الصلاة ، هو الصلة التى تربط الإنسان بالله ، الشعور بالوجود فى الحضرة الإلهية ...

وفى الصوم ، يركزون على فترة الإنقطاع ، ونوع الأكل ، وهذه أيضاً شكليات . أما جوهر الصوم من حيث عنصر المنع ، والسيطرة على الذات ، وضبط الجسد ، والإرتفاع فوق مستوى المادة والأكل ، هذا ما يغفله الكثيرون .

وفى الإستعداد للتناول ، كثيراً ما يهتم الناس بطهارة الجسد ، بوضع شكلى ، دون الإهتمام بجوهر الطهارة جسداً وروحاً ! ...

وفى قراءة الكتاب المقدس ، يهتم البعض بكمية القراءة ، والمواظبة عليها ، وهذا شكل ... أما الجوهر فهو القراءة بفهم وتأمل ، والغوص وراء المعانى ، وتحول القراءة إلى روح وحياة ...

و بعض الناس يدخلون الحياة الرهبانية ، فيهتمون بالشكل الخارجى ، من جهة المطانيات وعددها وكثرتها ، والأصوام وانقطاعها وشدتها ،

والحبس فى القلاية، والصمت، وعدم الإهتمام بالملبس... أما نقاوة القلب من الداخل، والموت الحقيق عن العالم، وهدف الرهبنة فى الإنشغال بالله ومحبته، هذا ما ينسونه وسط الإهتمام بالشكليات!...

والخدمة أيضاً كثيراً ما تضيعها الشكليات، فقد يشغل كل إهتمامنا، ماذا نقول... أما تأثير ما نقوله فى تغيير قلوب الناس، وفى توصيلهم إلى محبة الله، فهذا ما يغفله الكثيرون... وقد تكثر فى الخدمة الأنشطة العديدة، والتنظيمات، والأسماء البراقة، وكلها شكليات. والعمق معروف، الذى هو الهدف من الخدمة، أعنى خلاص النفس... ولكن أين هو؟!

إن الشكليات لا تبنى الملكوت إطلاقاً، بل هى تذكرنا بما قاله الرب عن الكتبة والفريسيين الذين ينظفون خارج الكأس والصحفة، والذين يشبهون القبور المبيضة من الخارج، أما الداخل... فعكس ذلك تماماً...

الله لا يهمه الشكليات، لذلك قال «يا إبنى أعطنى قلبك» ولهذا لا يهتم بحرفية الوصية، إنما اهتم بما فيها من حب، وقال عن المحبة، إنه يتعلق بها الناموس كله والأنبياء...

[٨٤] التجـــارب

كثير من التجارب تأتى من حسد الشياطين ...

فإن وجد الشيطان شخصاً ناجحاً فى روحياته ، مرتفعاً إلى فوق ، يثور حسده ، ويهجم عليه بالتجارب ، ليرى ما مدى ثباته فى حياة الروح ...

وهذا هو الذى حدث مع السيد المسيح له المجد ...

لم يسترح الشيطان للمجد العظيم الذى ناله السيد المسيح عند نهر الأردن . من شهادة الآب له « هذا هو إبنى الحبيب الذى به سررت » وشهادة الروح القدس الذى حل عليه كحمامة ، وشهادة يوحنا المعمدان « لست مستحقاً أن أنحنى وأحل سيور حذائه » ... لذلك سعى وراءه بالتجارب على الجبل .

إن حرب الشياطين تكون أحياناً شهادة لنجاح العمل الروحى ، و به يطمئن الشخص على عمله .

وتجارب الشياطين على نوعين : ضيقات واغراءات ...

الضيقات لا تؤذى ، بل تفيد ، وتعلم الإنسان الصبر ، وتعطيه إختباراً فى معونة الله . وعنها قال يعقوب الرسول « إحسبوه كل فرح يا إخوتى حينما تقعون فى تجارب متنوعة » .

أما التجربة بالخطية ، فهى الشىء المتعب ...

إذ قد تلح الخطية على المؤمن عملاً أو فكراً بطر يقة قاسية ، ومع رفضه لها ، تستمر فى مقاتلته ، فيصرخ إلى الله و يقول « لا تدخلنا فى تجر بة » ...

والتجارب تدل على أن الشيطان لا ييأس ...

لا ييأس مهما كانت عظمة الشخص الذى يحاربه أو قوته ، كما حدث فى جرأته فى محاربته للسيد المسيح .

ولا ييأس أيضاً من طول المدة . فقد حارب السيد المسيح أربعين يوماً . وعلى الرغم من فشله وطرد الرب له ، فارقه إلى حين ، وعاد للتجربة حتى والرب على الصليب .

ونحن لا نخاف من حروب الشياطين ...

فالنعمة التى معنا ، أقوى بكثير من كل حيل الشياطين ، والروح القدس العامل فينا ، قادر على قهر الشيطان ، كما أن الله أعطانا السلطان على جميع الشياطين ...

وكما انتصر السيد المسيح على كل تجارب الشيطان ، أعطى طبيعتنا البشرية روح النصرة ، وأصبح يقودنا فى موكب نصرته .

ليكن الرب مباركاً فى تجاربنا ، كما فى عبادتنا ...

[٨٥] كل شىء لروحياتك

الله خلق كل شىء ، لأجل روحياتك ...

السماء والأرض ليسا فقط لنفعك المادى ، وإنما لنفعك الروحى أيضاً ، إن استطعت أن تستخرج ما يقدمان من دروس روحية « السماء تحدث بمجد الله ، والفلك يخبر بعمل يديه » (مز ١٩) ...

والكتاب ، ليس لأجل المعرفة الدينية ، وإنما لأجل نموك الروحى « الكلام الذى أقوله لكم ، هو روح وحياة » . وفرق كبير بين قراءة الكتاب للدراسة ، وقراءته للإستفادة الروحية .

والخدمة أيضاً ليست مجرد تعليم ، وإنما التعليم هو مجرد وسيلة توصل إلى الروحيات . ولذلك يوجد فرق بين تعليم وتعليم .

هناك تعليم يخاطب ذهنك ، وتعليم يملأ قلبك . تعليم يحولك إلى عالم ، وتعليم آخر يحولك إلى عابد ...

والتعليم الذى تقوله ، ليس هو لروحيات الآخرين فقط ، إنما أيضاً لروحياتك أنت بالذات .

تنتفع كما ينتفع سامعوك . وإن كنت لا تنتفع معهم ، فيقيناً هم أيضاً سوف لا ينتفعون بما تقول ، لأن الكلام يكون قد فقد تأثيره الروحى .

والألحان والتراتيل فى الكنيسة ، ليست هى مجرد موسيقى وأنغام . إنما هى صلوات موجهة إلى الله ، ولها عمقها ، ولها تأثيرها فى قلبك وفى روحياتك ...

ولهذا هناك فرق بين من يغنى ، ومن يرتل ...

بنفس الوضع نتكلم عن كل الوسائط الروحية ...

بل كل الأحداث التى تمر عليك ، سمح بها الله ، من أجل أن تأخذ منها منفعة روحية ...

هناك من ينفعل بالأحداث عصبياً ، أو نفسياً ، أو عقلياً . وهناك من ينفعل روحياً بكل ما يمر به من أحداث ، فيقربه كل شيء إلى الله ...

وأيضاً كل من يقابلك من الناس ، أرسله الله إلى طريقك لفائدتك الروحية ، لو عرفت كيف تستفيد منه .

الأبرار يقدمون لك قدوة وبركة ، والأشرار تستفيد منهم احتمالاً وصبراً ومغفرة للآخرين .

[٨٦] التوبة وكمالها

التوبة درجات وخطوات يسير فيها الإنسان :

١ ـ الخطوة الأولى هى الشعور بسوء الحالة والرغبة فى تغييرها ، كما حدث بالنسبة إلى الإبن الضال ، الذى رجع إلى نفسه ، وشعر بأنه يكاد يهلك جوعاً ، ووجد أن الحل الأمثل هو فى الرجوع إلى أبيه .

٢ ـ الخطوة الثانية هى ترك الخطية ، والإبتعاد عن كل الطرق المؤدية إليها . والمقصود بترك الخطية ، ليس ترك خطية معينة وإنما ترك الخطية عموماً .

٣ ـ وفى هذه النقطة يبدأ الإنسان يكتشف نفسه .

وكلما ينمو فى الروح . يكتشف أخطاء جديدة له لم يكن يدركها من قبل ، فيعمل على تركها . وهكذا يدخل فى مراحل كثيرة من تنقية النفس ، حتى ترجع إلى صورة الله .

٣ ـ وترك الخطية فى حياة التوبة ، ينبغى أن يكون تركاً دائماً ثابتاً فلا يرجع إلى الخطية مرة أخرى . وهكذا كانت توبة القديسين . لم نسمع أن أوغسطينوس رجع إلى الخطية مرة أخرى . وكذلك موسى الأسود ، ومريم القبطية ، وبيلاجيه .

كانت التوبة فى حياة كل هؤلاء ، تحولاً ثابتاً نحو الله ، و بلا رجعة إلى الخطية .

٤ ـ على أن كمال التوبة ـ كما قال القديسون ـ لا يكون مجرد ترك الخطية ، إنما يكون كراهية الخطية .

فالذى يترك الخطية بالفعل ، ولكنه يظل مشتاقاً إليها بالقلب . لا يكون قد تاب على وجه الحقيقة ، لأن قلبه لم يتب عنها وهو معرض أن تحدث له نكسة من جهة الفعل أيضاً . وعلى كل فالقلب هو الأساس . والرب يقول « يا إبنى أعطنى قلبك » فينبغى أن تكون التوبة من القلب ، لكى يكون القلب لله .

٥ ـ ومثل هذا التائب لا يستطيع أن يخطىء ، لأن كل مشاعره ورغباته أصبحت لا تتفق مع الخطية ، ولا تقبلها . كما أنه لا يحتاج إلى جهاد للبعد عن الخطية ، لأنه يبعد عنها تلقائياً ، لكراهيته لها .

٦ ـ والتوبة الحقيقية ينبغى أن يكون لها ثمار .

كمـــا قال الكتاب « إصنعوا ثماراً تليق بالتوبة ... وأول هذه الثمار محبة لله تملك القلب ، وتغير الحياة ، وتثمر بالبر .

[٨٧] محبة الله لنا (أ)

ما أعظم محبة الله لنا . يكفى أن الله محبة ...

ونحن « نحبه لأنه أحبنا قبلاً » ...

أحبنا قبل أن نكون ، ومن أجل ذلك خلقنا ...

ومن محبته لنا ، خلقنا على صورته ، كشبهه ومثاله .

وأعد لنا كل شيء قبل خلقنا ، رفع السماء لنا سقفاً ، ومهد لنا الأرض لتمشى عليها . وأعد لنا النور ، والماء ، والنبات ، والجنة ... ثم خلقنا .

ولما سقطنا فى الخطية ، أعد لنا طريق الخلاص .

من محبته لنا أرسل لنا الأنبياء لهدايتنا ، ووضع فينا الضمير ، وأرسل لنا الشريعة المكتوبة لتنير بصائرنا .

ومن محبته لنا ، تجسد ، أخذ طبيعتنا ، وبارك طبيعتنا فيه ، وناب عنا فى إطاعة الناموس ، وفى إرضاء الله الآب ، إذ قدم له صورة من البشرية التقية .

ومن محبته لنا ، مات عنا « البار لأجل الأثمة » ...

« هكذا أحب الله العالم ، حتى بذل إبنه الوحيد » ...

على الصليب صار ذبيحة حب . وحمل خطايا العالم كله ، لكى

يمحوها بدمه « والذى بلا خطية ، حسب خطية من أجلنا » ودفع الثمن كله ، بدلاً منا .

« كان قد أحب خاصته الذين فى العالم ، أحبهم حتى المنتهى » ، « وليس حب أعظم من هذا ، أن يضع أحد نفسه عن أحبائه » ...

ومن محبته لنا ، قال « لا أعود أسميكم عبيداً ، بل أحباء » ودعانا أخوته ، و « شابه أخوته فى كل شىء » وصرنا أبناء للآب السماوى « أنظروا أية محبة أعطانا الآب ، حتى ندعى أولاد الله » .

ومن محبته لنا ، مضى ليعد لنا مكاناً ، و يأخذنا إليه ، حتى حيث يكون هو، نكون نحن أيضاً ...

وقال فى محبته لنا « ها أنا معكم كل الأيام ، وإلى انقضاء الدهر » ، « حيثما اجتمع إثنان أو ثلاثة بإسمى ، فهناك أكون فى وسطهم » .

ومن محبته لنا : حفظه ورعايته لنا فى كل شىء .

[٨٨] محبة الله لنا (ب)

من محبة الله لنا ، أنه يعتبرنا منه . فيقول «أنا الكرمة وأنتم الأغصان» ، ويقول أننا «أعضاء جسده» أو إنه الرأس ، والكنيسة كلها هى الجسد ، ويقول أيضاً «إثبتوا فىَّ ، وأنا فيكم ، كما تثبت الأغصان فى الكرمة» (يو١٥) ، ويقول عنا للآب «أنا فيهم ، وهم فىَّ ، ليكونوا مكملين إلى واحد» (يو٧) .

* وما أجمل تعبير الكتاب عن محبة الله لنا ، فى قوله «شركاء الطبيعة الإلهية» وأيضاً «شركة الروح القدس» . وهى طبعاً ليست شركة فى الطبيعة أو الجوهر ، وإنما شركة فى العمل . ولذلك يقول بولس عن نفسه وزميله سيلا «نحن عاملان مع الله» (١كو٣) .

* **ومن مظاهر محبة الله لنا ، الصداقة التى أقامها بينه وبين بنى جنسنا** . مثل إبراهيم الذى قيل عنه إنه خليل الله ، وأخنوخ الذى قيل عنه «وسار أخنوخ مع الرب ، ولم يوجد لأن الله رفعه إليه ، ومثل موسى الذى قضى أربعين يوماً مع الرب على الجبل . ومثل تلاميذه الإثنى عشر ، وعشرته لهم ...

* **وجميل أيضاً أن الله جعل لذته فى بنى البشر ...**

وأنه هو غير المحدود ، تنازل إلى البشر المحدود وتفاهم معهم ، وتراءى

لهم ، وتحدث إليهم فماً لأذن .

*** ومن محبة الله لنا أيضاً كل صور الرعاية العجيبة التي حكاها** لنا التاريخ ، مثل شق البحر الأحمر ، والمن والسلوى في البرية ، وتفجير الماء من الصخرة ، ورعاية إيليا من المجاعة ، وإنقاذ بطرس من السجن ، ودانيال من جب الأسود ، والثلاثة فتية من أتون النار ... مع قصص لا تنتهى .

*** ومن علامات محبة الله ، وعوده الجميلة لنا :**

« نقشتكم على كفى » ، « حتى شعور رؤوسكم محصاة » ، « أعطيكم قلباً جديداً » ، « لا يستطيع أحد أن يخطف من يد أبى شيئاً » ، « أنا ماض لأعد لكم مكاناً » ..

*** ومن دلائل محبة الله للإنسان ، مواهبه له .**

موهبة الخلود ، وموهبة القيامة على شبه جسد مجده ، ومواهب الروح القدس المتعددة ... مبارك الرب فى محبته .

[٨٩] المحبـــة تبـــذل

المحبة تختبر بالألم ، تختبر بالضيقة ، و بالبذل .

والذى لا يستطيع أن يبذل ، هو إنسان لا يحب .. فإذا أحب ، بذل كل شىء .

إبراهيم أبو الآباء ، من أجل محبته لله ، ترك أهله وعشيرته و بيت أبيه ، وعاش متغرباً فى خيمة ...

ولكن حب إبراهيم لله وصل إلى قمته ، حينما وضع إبنه وحيده الذى يحبه ، على المذبح ، وحوله الحطب والنار ، ورفع يده بالسكين ، ليبذل إبنه .

وحينما أحب دانيال الرب ، بذل نفسه ، ورضى أن يلقى إلى جب الأسود ، وكذلك الثلاثة فتية ، برهنوا على محبتهم ببذلهم أنفسهم ، ليلقوا فى أتون النار...

بولس الرسول ، قال فى حبه للسيد المسيح :

« خسرت كل الأشياء ، وأنا أحسبها نفاية ، لكى أربح المسيح وأوجد فيه » .

آباؤنا الشهداء ، وآباؤنا المعترفون ، من أجل محبتهم للرب بذلوا دماءهم أو حياتهم أو راحتهم ، ودخلوا إلى العذاب ولم يخافوا من أجل

عظم حبهم ...

هناك عوائق تمنع الإنسان من البذل : هى محبة الراحة ، أو محبة الكرامة ، أو محبة الذات ... أما الحب الحقيق ، فلا تهمه الراحة ولا الكرامة ولا الذات ...

إنه يبذل كل شىء ، من أجل من يحبه ...

يعقوب أبو الآباء ، عندما أحب راحيل ، بذل من أجلها الشىء الكثير. تعب من أجلها عشرين سنة ، تحرقه الشمس بالنهار ، والبرد بالليل ... وكل هذه السنوات ، كانت فى نظره كأيام قليلة بسبب محبته لها .

وأنت ماذا بذلت من أجل المسيح ، الذى بذل ذاته من أجلك على الصليب ؟ ...

الذى يحب ، يبذل ذاته من أجل الله ، والناس .

و يتدرب أولاً على بذل ما هو خارج ذاته ، كالمال ، والوقت ، والقنية ... أما الذى لا يستطيع أن يبذل ما هو خارج ذاته ، فكيف يبذل ذاته ؟!

إن كنت لا تستطيع أن تبذل ، فأنت لا تحب غيرك ، إنما تحب ذاتك فقط ...

[٩٠] حلول الرب

حقاً إن الله عنده حلول كثيرة ...

نحن نفكر فى مشاكلنا بعقلنا البشرى ، وعقلنا محدود ، أما الله فهو غير محدود فى معرفته وفى حكمته .

وحينما تضيق الأمور ، يكون ضيقها نسبياً ، أى بالنسبة إلينا نحن البشر. أما بالنسبة لله ، فلا ضيق . كل شىء سهل ، والحلول كثيرة .

إنه يتدخل فى الوقت المناسب ، وبالطريقة المناسبة ، وربما بحلول ما كانت تخطر لنا على بال ، وما كنا نفكر فيها أو نتوقعها ...

وغير المستطاع عند الناس ، مستطاع عند الله ...

بل عند الله كل شىء مستطاع ، إذ لا يعسر عليه أمر كما قال أيوب الصديق .

إن الله ضابط للكل ، يرى كل شىء ، ولا يخفى عليه تدبير ، يدبر فى الخفاء أو الظلام . الكل مكشوف أمام عينيه ، والرد عليه معروف .

لذلك حسناً قال موسى النبى « قفوا وانظروا خلاص الرب . الرب يقاتل عنكم ، وأنتم تصمتون » .

وحلول الرب قوية ، وخلاصه عظيم ...

والمؤمنون ينتظرون خلاص الرب فى رجاء ، و يفرحون بالرجاء ...

وعمل الله من أجلهم فى القديم ، يزيد إيمانهم بعمل الله الآن، وفى المستقبل ، وكل حين ...

الله هو الله ، لا يتغير ، فى محبته وحفظه ...

هكذا قال المزمور : الرب يحفظك من كل سوء ، الرب يحفظ نفسك ، الرب يحفظ دخولك وخروجك .

ونحن فى حياتنا ، نتعامل مع الله ، وليس مع الناس ، نحن والناس جميعاً فى يديه . وليس أحد مستقلاً عن الله ، أو خارجاً عن سلطانه ...

لذلك نحن مطمئنون إلى عمل الله معنا ...

وواثقون بتدخله ، مستمعين إلى أنشودة المرتل :

انتظر الرب ، تقو وليتشدد قلبك ، وانتظر الرب .

ليكن إسم الرب مباركاً كل حين ...

[٩١] ربنـــا موجـــود

المشكلة وحدها ، بدون الله ، قد تسبب تعباً للبعض . ولكن المشكلة ، مع وجود الله ، لا تسبب تعباً ...

بل الرجاء بالله وتدخله ، يعطى القلب فرحاً واطمئناناً . وكما قال الرسول « ... فرحين فى الرجاء » (رو١٢) .

+ هل كان « جب الأسود » مخيفاً لدانيال ؟

يقيناً ، لم يكن كذلك ، ما دامت معه عبارة :

« إلهى أرسل ملاكه ، فسد أفواه الأسود »

+ وهل كانت نار الأتون مصدر ضياع للثلاثة فتية ؟

كلا ، لم تكن كذلك ، ما دام هناك (رابع) شبيه بأبناء الآلهة ، يتمشى معهم داخل الأتون .

+ وهل كان منظر جليات الجبار ، مرعباً لداود ؟

إنه كان كذلك بالنسبة لأفراد الجيش ، الذين واجهوا جليات وتهديداته ، بدون الرب . أما داود فكان قوياً ، ولم يزعجه جليات وتهديداته لأنه أدخل الرب إلى الميدان ، وقال : الحرب للرب .

أنا آتيك باسم رب القوات ... اليوم يحبسك الرب فى يدى ...

+ إن شعورنا بوجود الله معنا ، هو سبب كل اطمئناننا ، فإسم الرب

برج حصين ، يلجأ إليه الصديق و يتمنع .

« الرب يحفظك من كل سوء . الرب يحفظ نفسك » ...

« الرب يحفظ دخولك وخروجك » هكذا قال المزمور ...

« جعلت الرب أمامى فى كل حين . لأنه عن يمينى فلا أتزعزع »

حقاً ، إن إدخال الرب فى المشكلة ، يحلها ...

+ باسم الرب ، وقف إيليا النبى أمام آخاب ...

و باسم الرب ، وقف موسى وهارون أمام فرعون ...

و باسم الرب ، وقف بولس ، أمام فستوس وأغر يباس ...

+ كان الرب هو قوة هؤلاء القديسين وأمثالهم .

وفى ذلك قال المرتل « قوتى وتسبحتى هو الرب ، وقد صار لى خلاصاً » ، « الرب نورى وخلاصى » .

+ إننا نتعامل مع الله ، وليس مع الناس ... ونضع الرب أمامنا ، فى كل مشاكلنا ، فيعطينا قوة .

إن ضعفت يوماً ، فاعرف إنك نسيت قوة الله .

[٩٢] رؤية أخرى

نحن ننظر إلى الأمور ، بطريقة معينة ، ومن زاوية معينة فنراها بشكل ما . ولكن رؤيتنا ليست كل شيء .

هناك رؤية أخرى ، بالإيمان ، توافق ما يراه الله .

* ماذا نرى فى بيع يوسف كعبد بواسطة أخوته ؟

وماذا نرى فى سجنه ، بعد كل إخلاصه لبيت فوطيفار ؟

لا نرى فى كل ذلك سوى الشر والغيرة والخيانة ...

ونرى فى ذلك أيضاً الظلم وسوء المصير .

أما الله فكانت له رؤية أخرى للأمور .

كانت هذه هى الطريقة التى سيتمجد بها يوسف .

* وماذا نقول نحن عن تصرف يهوذا الأسخر يوطى ، سوى الخيانة فى أحط صورها ؟!

وماذا نقول عن تصرف بيلاطس البنطى ، سوى أنه الجبن والظلم والإستسلام للشر ؟!

وماذا نقول عن حنان وقيافا ، سوى الحسد والكذب والتآمر ؟!

ونرى أن كل ذلك ما كان يجب أن يحدث .

ولكن الله كانت له رؤية أخرى .

كان يرى الخلاص نتيجة الصلب الذى سببه هؤلاء .
إنه الله الذى يحول الشر إلى خير .

ليس معنى هذا أن شرور هؤلاء خير !
كلا ، ولكن الرؤية الأخرى هى أن الله قادر أن يخرج من الجافى حلاوة . وأن يجعل كل الأمور تؤول إلى مجد إسمه القدوس .

* ركب يونان سفينة ، وهاجت عليها الأمواج حتى كادت تنقلب ، وحتى ألقى الناس أمتعتهم فى البحر . وهم فى غاية الإنزعاج والخوف ... فهل كان كل ذلك شراً ؟ أم كانت لهذه الكارثة البحرية رؤية أخرى .

الرؤية الأخرى هى أن هذه الأمواج من البحر الصاخب ، كانت سبباً فى إيمان أهل السفينة .

*** لا شك أن رؤيتنا نحن قاصرة ... فقد ترى التجربة ، ولا ترى البركة التى سيحققها الله حتماً من وراء هذه التجربة .**

ولكننا بالإيمان نرى هذه البركة ، واثقين « أن كل الأشياء تعمل معاً للخير ، للذين يحبون الرب » .

[٩٣] الإخــلاص

الإخلاص هو نقاوة الحب ، وصدق العاطفة ، ومشاعر الوفاء ، يقدمها لك مخلوق تثق بمودته .

ويبدو الإخلاص على حقيقته فى أوقات الضيقات ، أو أن معدنه يمتحن فى وقت الضيقة .

بهذا الإخلاص قال القديس بطرس الرسول للسيد المسيح « ولو أدى الأمر أن أموت معك » . وقال السيد المسيح لتلاميذه : أنتم الذين ثبتم معى فى شدائدى .

وبهذا الإخلاص وقفت المريمات و يوحنا الحبيب حول المسيح أثناء صلبه ، و بنفس الإخلاص تقدم يوسف الرامى إلى بيلاطس يطلب جسده ليكفنه مع نيقوديموس .

ولم يبال أحد من هؤلاء فى إخلاصه ، بماذا يقال عنه ، أو بماذا يحدث له .

الإخلاص يتميز بالبذل ، وفيه ينسى الإنسان ذاته ، ولا يذكر إلا حبه ومن يحبه .

ويحكى لنا الكتاب إخلاص راعوث لحماتها نعمى ، وقولها لها « حيثما ذهبت أذهب ، وحيثما مت أموت » .

بالإخلاص عاش يوناثان مع داود ، واضطره الأمر أن يحتمل توبيخ أبيه وغضبه ، بسبب محبته لداود .

وبنفس الإخلاص أحسن داود إلى كل من وجده من أسرة يوناثان بعد وفاته .

بالإخلاص قدم الشهداء أنفسهم حباً للمسيح ، وتحمل المعترفون كل صنوف العذاب من أجله ...

وهناك من أخلصوا لأسراتهم ، أو لمعلميهم ، أو لآبائهم الروحيين والجسديين ، أو لأوطانهم ، أو لمبادىء معينة عاشوا لها ... إخلاصاً حتى الموت .

وهناك أنواع أخرى من الإخلاص ، كإخلاص الطبيب لمريضه ، والمحامي لموكله ، والأستاذ لتلاميذه ، والكاتب لقرائه ، والحارس لمن يحرسه .

هناك من يخلص بدافع الواجب والضمير ، ومن يخلص بدافع الحب والوفاء ، ومن يخلص لأن الإخلاص طبيعة فيه ، يعامل بها كل أحد ، وبالأكثر من يحبهم .

ما أجمل الإخلاص ، إنه نبل ، وحب ، وتاج ذهبي ...

[٩٤] سلام الكنيسة

أكثر صلاة تتكرر فى طقوسنا، هى الصلاة من أجل سلام الكنيسة، وهى التى نقول فيها :

« أذكر يارب سلام كنيستك الواحدة الوحيدة المقدسة الجامعة الرسولية. هذه الكائنة من أقاصى المسكونة إلى أقاصيها. إحفظها بسلام ».

نصليها فى مقدمة الأواشى الصغار، وفى مقدمة الأواشى الكبار و وفى رفع بخور عشية، وفى رفع بخور باكر، وفى كل دورة يدورها الكاهن بالبخور حول المذبح مصلياً الأواشى.

وفى أول القداس. عند تقديم الحمل، نصلى قائلين : سلاماً وبنياناً لكنيستك المقدسة. ونقول هذه الطلبة عينها فى سيامة الآباء الكهنة أيضاً.

ونذكر سلام الكنيسة أيضاً فى أوشية الملك أو الرئيس. فنقول فيها أيضاً : تكلم فى قلبه من جهة سلام كنيستك الواحدة الوحيدة المقدسة الجامعة الرسولية.

وكان سلام الكنيسة أيضاً أهم ما كان يشغل آبائنا الرسل، وكل آبائنا القديسين.

الكنيسة كانت تمثل فى نظرهم جميعاً، ملكوت الله على الأرض

الذى سيمتد فى الملكوت السماوى .

إنها تمثل موطن الإيمان . ومسكن الله مع الناس .

سلامها وسلامتها هما موضع صلاة كل إنسان ، أكثر مما يصلى من أجل طلباته الخاصة . إنها مركز تأملاته فى الصلاة الربية التى يقول فيها « لتتقدس إسمك . ليأت ملكوتك . لتكن مشيئتك » ...

الصلاة من أجل سلام الكنيسة ، هى الصلاة التى عاشت على مدى الأجيال فى أفواه المؤمنين ، رعاة ورعية ، إكليروساً وشعباً ، حتى فى طقس سيامة الرهبان الذين انقطعوا عن العالم ، نصلى لأجل سلام الكنيسة . وجميل أن الأنبا بولا أعظم المتوحدين والسواح ، سأل الأنبا أنطونيوس عن سلام الكنيسة .

إنها صلاة نصليها من عمق قلوبنا .
لا كمجرد طقس ، إنما كمشاعر حية متقدة .
ليت كل أحد يفرغ فيها كل عواطفه ، آمين .

[٩٥] إعثار الآخرين

العثرة هى السقطة . والذى يعثر غيره ، هو الذى يتسبب فى سقوط غيره ، بالعمل أو بالفكر .

وقد قال السيد المسيح « و يل لمن تأتى من قبله العثرات ، خير له أن يعلق فى عنقه حجر الرحى و يطرح فى البحر من أن يعثر أحد هؤلاء الصغار» (لو١٧ : ١، ٢) .

والصغار ، إما أن يكونوا صغاراً فى السن ، أو صغاراً فى التفكير والتميز، أو صغار النفوس ، أو صغاراً فى الإيمان أو فى الدرجة الروحية، بحيث يمكن للعمل المعثر أن يتعبهم .

كثيراً ما يتكلم كبار أفراد الأسرة أمام الأطفال . بكلام ما كان يليق أن يسمعوه ، على اعتبار أنهم لا يفهمونه . وغالباً ما يعثرهم ، أو يرسب فى أذهانهم .

كذلك تشاجر الوالدين أو اختلافهم أمام أبنائهم الصغار يسبب لهم عثرة ، لأنهم يتوقعون المثالية من الكبار. وأيضاً طلاق الوالدين عثرة لأبنائهما .

وما أكثر ما تكون مسائل الترفيه التى تقتنيها الأسرة عثرة للأولاد ، سواء بعض برامج التلفز يون والراديو، وبعض المجلات والكتب .

وحفلات معينة تقيمها الأسرة تكون عثرة لأبنائها.

والقدوة السيئة تعثر الصغار، سواء فى الكلام أو التصرف، أو الملابس، أو نوع المعاملات...

وكثيراً ما يتعلم الأطفال من أفراد أسرتهم الكذب، والتهكم على الآخرين، والمبالغة. بل قد يقلدونهم فى حركاتهم وملامحهم وأصواتهم، والأطفال مغرمون بالتقليد.

وقد تأتى العثرة من الفكر والتعليم الذى يتلقونه من الكبار، سواء فى البيت أو المدرسة أو الجيران، إذا كان هذا التعليم يغرس فيهم أفكاراً منحرفة. أو يسبب لهم مشاعر خاطئة أو كراهية نحو البعض.

وإن تعارضت المبادىء التى يتلقاها الصغير، مع مبادىء أخرى يتلقاها من كبير آخر، يصاب الطفل بالحيرة والتمزق، والشك، و يعثره هذا التعارض فى التعليم.

إن الصغار أمانة فى أعناقنا « إن لم نستطع أن نغرس فيهم الخير، فعلى الأقل لا نعثرهم ...

[٩٦] مجـــد الألـــم

يقول القديس بولس الرسول فى رسالته إلى رومية :

« إن كنا نتألم معه ، فلكى نتمجد أيضاً معه » (٨:١٧)

وهكذا يكون الألم من أجل الرب ، هو مقياس ما يناله المؤمن من مجد فى الملكوت الأبدى .

ولهذا فإن الكنيسة تضع الشهداء فى قمة القديسين .

تذكرهم فى صلواتها ، قبل أسماء الآباء السواح والمتوحدين ، الذين ملأوا البرارى صلوات وتأملات ، وتذكرهم قبـــل الآباء البطاركة والأساقفة بكل خدماتهم ونشرهم للكلمة . كل ذلك بسبب آلامهم التى تحملوها لأجل الرب .

وحتى فى الخدمة ، يبدو مقياس الألم واضحاً أيضاً .

فيقول الرسول « **كل واحد سيأخذ أجرته بحسب تعبه** » (١كو ٣:٨) . وهكذا نجد الرب يقول فى رسالته إلى ملاك كنيسة أفسس أنا عارف أعمالك وتعبك وصبرك ... وقد احتملت ، ولك صبر ، وتعبت من أجل إسمى ، ولم تكل » (رؤ٢: ٢،٣) ، واضعاً التعب فى المقدمة .

ويقول الكتاب أن الله « **لا ينسى تعب المحبة** » (عب٦ : ١٠) . فالمحبة تعبر عن وجودها ، بتعبها من أجل الذى تحبه . لأن المحبة

« ليست بالكلام ولا باللسان » (١يو٣:١٨) .

وعمق المحبة يظهر فى الألم ، حينما تصعد المحبة إلى مستوى البذل والتضحية والفداء .

وهكذا ظهرت محبة الله لنا فى عمقها على الصليب ، حينما بذل ذاته عنا ، البار لأجل الأثمة .

وكان المسيح فى قمة مجده ، فى عمق ألمه .

ولذلك قال عن صلبه « الآن تمجد إبن الإنسان » (يو١٣ : ٣١) . وصورة صلبه هى صورة مجده ...

إن بولس الرسول يعتبر أن الألم هبة من الله .

و يقول فى ذلك « لأنه قد وهب لكم لأجل المسيح ، لا أن تؤمنوا به فقط ، بل أيضاً أن تتألموا لأجله » (فى ١ : ٢٩) .

و يقول بطرس الرسول عن منهج الألم : « لأنكم لهذا دُعيتم ، فإن المسيح أيضاً تألم لأجلنا ، تاركاً لنا مثالاً لكى تتبعوا خطواته » (١بط ٢ : ٢١) .

[٩٧] الصعــود

فى يوم الخميس الماضى ، إحتفلت الكنيسة بعيد الصعود المجيد ، إذ صعد المسيح إلى السماء ، وجلس عن يمين الآب .

صعد فى مجد ، متحدياً كل قوانين الجاذبية الأرضية . **وأعطانا أيضاً أن نصعد مثله ، ونتحدى جاذبية الأرض ، وننضم إلى جاذبيته هو** بقوله « وأنا إن ارتفعت ، أجذب إلىَّ الجميع » ...

أخذته سحابة ، واختفى عن أعينهم . وسيأتى ثانية على سحاب السماء ، مع ملائكته وقديسيه ، لكى يرفعنا معه على السحاب ، ونكون مع الرب فى كل حين .

وكما جلس عن يمين الآب ، سيجلسنا معه فى مجده .

هذا الذى صلبوه فى الجلجثة ، وأحصى وسط أثمة ، مع كثير من التعيير والإهانات ، قام من الأموات فى مجد ، وصعد إلى السموات فى مجد ، وجلس عن يمين الآب فى مجد .

ولم تكن الجلجثة نهاية محزنة لحياته ، إنما كانت بداية لكل أمجاده ...

وهكذا كل من يتألم معه ، لا بد سيتمجد معه ...

كانت آخر صورة رآها له الإثنا عشر ، هى هذا الصعود ، الذى رفع

كل أنظارهم إلى فوق، حيث المسيح جالس، والتى قال عنها الرسول «رفع فى المجد» (١تى٣:١٦).

ولم يعد ألم المسيحية منفصلاً عن أمجادها .

هذا المسيح الذى تألم من أجلنا .ظهر للقديس اسطفانوس فى آلام استشهاده، فرأى السماء مفتوحة، وأبصر مجد الله، ورأى الرب يسوع قائماً عن يمين الله (أع٧:٥٥،٥٦) فصرخ أيها الرب يسوع إقبل روحى.

إن الذى نزل ، هو الذى صعد أيضاً ...

ونحن لا يمكن أن نصعد ، إن لم ننزل أولاً ...

ندخل مثله فى إخلاء الذات ، وفى تحمل الآلام، وفى الصعود إلى الصليب، قبل الصعود إلى يمين الآب...

وإذ صعد المسيح إلى فوق ، فإننا باستمرار نرفع أبصارنا إلى فوق، حيث جلس المسيح عن يمين أبيه، وحيث يرجع إلينا مرة أخرى على السحاب ليأخذنا إليه.

فنصعد حينئذ صعوداً لا نزول بعده مرة أخرى ... آمين .

[٩٨] صوم الرسل

لا يستهن أحد بصوم آبائنا الرسل ، فهو أقدم صوم عرفته الكنيسة المسيحية فى كل أجيالها . وأشار إليه السيد بقوله « ولكن حينما يرفع عنهم العريس فحينئذ يصومون » ...

وصام الآباء الرسل ، كبداية لخدمتهم . فالرب نفسه بدأ خدمته بالصوم ، أربعين يوماً على الجبل .

صوم الرسل إذن ، هو صوم خاص بالخدمة والكنيسة .

قيل عن معلمنا بطرس الرسول إنه صام إلى أن « جاع كثيراً واشتهى أن يأكل » (أع١٠ : ١٠). وفى جوعه رأى السماء مفتوحة ، ورأى رؤيا عن قبول الأمم .

وكما كان صومهم مصحوباً بالرؤى والتوجيه الإلهى ، كان مصحوباً أيضاً بعمل الروح القدس وحلوله . و يقول الكتاب :

« و بينما هم يخدمون الرب و يصومون ، قال الروح القدس إفرزوا لى برنابا وشاول للعمل الذى دعوتهما إليه . فصاموا حينئذ وصلوا ، و وضعوا عليهما الأيادى ، ثم أطلقوهما . فهذان إذ أرسلا من الروح القدس ، انحدرا إلى سلوكية » (أع١٣ : ٢-٤).

أمور هامة ، تميز بها صوم آبائنا الرسل ، منها : الصوم،

والصلاة، والخدمة، وعمل الروح القدس.

و يسرنا أن يعمل الروح القدس خلال الصوم .

وأن تأتى الدعوة الإلهية خلال الصوم ...

وأن تتم سيامة الخدام أثناء الصوم أيضاً ...

وأن يبدأ الخدام بالصوم ، قبل البدء بالخدمة ...

هناك أصوام خاصة بالتوبة ، مثل صوم أهل نينوى ، ومثل أصوام التذلل التى تكلم عنها سفر يوئيل .

وأصوام أخرى خاصة بطلبة معينة ، مثل صوم أستير .

وأصوام لإخراج الشياطين ، كما قال الرب إن هذا الجنس لا يخرج بشىء إلا بالصلاة والصوم .

وأصوام نصومها قبل كل نعمة نتلقاها من الرب ، كالأصوام التى تسبق الأسرار المقدسة كالمعمودية والميرون والتناول والكهنوت .

أما صوم الرسل فهو من أجل الخدمة والكنيسة ، على الأقل لكى نتعلم لزوم الصوم للخدمة ، ونفعه لها .

نصوم لكى يتدخل الله فى الخدمة و يعينها . ونصوم لكى نخدم ونحن فى حالة روحية . ونصوم شاعر ين بضعفنا ...

كم اشتهينا مجىء هذا الصوم ، خلال الخمسين المقدسة .

[٩٩] كلمة منفعة

كثيرون يبحثون عن المنفعة من الكلمة ... فإن لم يقرأوها أو يسمعوها ، يشعرون أنهم لم ينتفعوا !!

* والحكيم يرى فى كل شىء كلمة منفعة .

* حتى صمت الآخرين ، يرى فيه منفعة ، وحكمة ... وربما ينتفع من صمتهم ، أكثر من انتفاعه بالكلام .

* كل حادث يمر عليك فى الحياة ، فى حياتك أو فى حياة الآخرين ، يحمل إليك كلمة منفعة ...

لذلك فإن كثيرين ينتفعون من الأحداث ، أكثر مما ينتفعون بالكتب والمقالات والكلام ...

* خبرة الحياة أيضاً مملوءة من كلمات منفعة لا تحصى ، وذلك لمن يستطيع أن يستفيد من الخبرة .

لذلك دُعينا إلى الإستفادة من حكمة الشيوخ ، لأن خبرات عديدة مرت عليهم ، كل منها تحمل كلمة منفعة .

* المرض كثيراً ما يكون فى حد ذاته كلمة منفعة ...
ينطق فى أذن المريض بأقوال لا يجدها فى الكتب .
كما يكون المرض أيضاً كلمة منفعة بالنسبة إلى المحيطين بالمريض من

أهله وأصحابه وزواره ...

* والموت أيضاً كلمة منفعة استفاد منها مشاهير القديسين ، كالأنبا أنطونيوس مثلاً ، والأنبا بولا ... وكثيرون كانوا يزورون المقابر ، لكى يستمعوا إلى كلمة المنفعة التى ينطق بها الموت فى قلوب الناس ... وهو صامت .

* والضيقات أيضاً هى كلمة منفعة لمن يحسن الإستفادة منها ، سواء لمن تحل الضيقة به ، أو من يراها فى غيره . فلا تأخذ من الضيقة تعبها . بل دروسها .

* والطبيعة أيضاً فيها كلمات منفعة ، وإن بدت صامتة . لذلك دعانا الكتاب أن نتعلم دروساً من زنابق الحقل ، ومن طيور السماء ، حتى من النملة يتعلم الكسلان .

* كلمة المنفعة موجودة ، لم يحرم منها أحداً ، إنما الناس فى مجموعهم يحتاجون إلى موهبة التأمل والتعمق ، لكى يستخرجوا كلمة المنفعة من كل ما يصادفهم ...

سواء كانت كلمات منفعة ناطقة أو صامتة ، مكتوبة أو مستنتجة . ومن له أذنان للسمع فليسمع ...

[١٠٠] محبـــة الـــذات

المحبة الحقيقية للذات ، تأتى بتدريب هذه الذات على محبة الله ، ودوام سكناه فيها ، وخضوعها لعمل روحه ...

ولا يمكن للذات أن تتمتع بسكنى الله فيها ، إلا عن طريق النقاوة ، والإتضاع الذى به لا تقاوم عمل الروح فيها ، ولا تفضل جهالتها على حكمة الله .

وهكذا تظهر المحبة الحقيقية للذات ، فى إنكار الذات .

إنكار الذات فى العمل ، حيث تقول « لا أنا ، بل نعمة الله العاملة فىَّ » . وإنكار الذات فى ترك محبة المديح والكرامة « ليس لنا يارب ليس لنا ، ولكن لإسمك القدوس أعط مجداً » . وإنكار الذات فى الجهاد ، حيث يضحى المؤمن براحته وكل ماله ، من أجل بناء ملكوت الله ...

إنكار الذات فى التعامل مع الله ، ومع الناس .

وفى ذلك يفضل الإنسان غيره على نفسه فى كل شىء ، « مقدمين بعضكم بعضاً فى الكرامة » .

ومن هنا تأتى كل نواحى المحبة العملية نحو الآخرين ، ليس فى الكرامة فقط ، إنما أيضاً فى العطاء ، والبذل ، والتعب لأجل الآخرين ، والتضحية من أجلهم إلى بذل الذات عنهم ، ولا مانع من أن يحمل

خطاياهم و ينسبها إلى نفسه ، ويحرم نفسه من كل شيء ، لكى ينالوا هم ...

غير أن البعض قد يحب ذاته محبة خاطئة دنيوية ، ويحاول أن يبنيها فيهدمها ، وأن يرفعها فيضيعها .

وفى ذلك قال السيد المسيح « من وجد نفسه يضيعها . ومن أضاع نفسه من أجلى يجدها » .

الذين تركوا ملاذ العالم من أجل الرب ، يحسبهم أهل العالم أنهم ضيعوا أنفسهم ، بينما هم قد وجدوا الطريق الحقيق لبناء الذات . و يدخل ضمن هؤلاء أيضاً الرهبان والسواح ، وكل من تكرسوا لخدمة الرب ، وكل من قالوا له مع بطرس « تركنا كل شيء وتبعناك » .

الذى يحب ذاته ، هو الذى يسير بها فى الطريق الضيق من أجل الرب ، ويحملها الصليب كل يوم ...

هذا الإنسان هو الذى يحب ذاته حقاً ...

أما الذى يعطيها كل شهواتها الأرضية والجسدية ، فإنه لا يحب ذاته ، وإنما يحب العالم وشهوته ...


فى هذا الكتاب
مبارك هو الإنسان ، الذى
يسعى إلى كلمة المنفعة .
ومبارك بالأكثر من يحول
الكلمة إلى حياة ، فيحياها ،
ولا يقتصر على القراءة
والسماع .
مبارك من يدخل إلى
أعماق الكلمة ، ويدخلها إلى
أعماقه ، ويتفاعل معها .
وهكذا تتميز قراءاته بالجدية ...
وأمامك بضعة كلمات ...
يمكن أن تتوالد داخل قلبك ،
وداخل فكرك ، وتفتح لك مجالاً
من التأمل ، ومجالاً آخر من
التداريب العملية .
شنوده الثالث